روائع من الخيال العلمي

اختيار وإعداد

راجي عنايت

مغامرة على كوكب الزهرة

.... وقصص أخرى



الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م
الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م
الطبعة الثالثة
١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

المحتويات

الصفحة

مقدّمة

قال أحد النقّاد « قصص الخيال العلمي متعة كبرى ، لكنّها متعة تخفي وراءها أعماقاً جادة » .

وإذا كانت قصّة أو رواية الخيال العلمي لم تلق بعد في حياتنا الأدبية ذلك الرواج الذي تلقاه في الدول الأكثر تحضّراً ، والأبعد تقدّماً في تطورها العلمي ، فالذي نتوقّعه بحكم حرصنا على تقريب المسافة بيننا وبين تلك الدول ، أن نرى في القريب نهضة في ذلك المجال من مجالات التعبير الأدبي والعلمي في آن واحد .

لقد كان اهتمامي بالعلم والفن معاً بحكم دراستي ، وممارستي ، هو دليلي لاكتشاف قصص الخيال العلمي ، والاهتمام به .. كنت أشعر بعد قراءة كلّ قصّة من هذه القصص بمتعة مزدوجة ، متعة أدبية ، ومتعة علمية ، بالإضافة إلى التعرفّ على مسار من مسارات التطور العلمي والحضاري ، كما تراه عين الفنان والعالم أعتماداً على الحدس والتخيل. وقد جعلني هذا أشعر بأننّا في العالم العربي أحوج ما نكون إلى متابعة ما يصدر في هذا المجال ، لما فيه من فائدة لجيلنا الحالي والجيل القادم ، أيّاً كانت تخصّصات أفراده . شعرت أنّنا في أشدّ الحاجة إلى أن نعلم قبل أن نحلم ، وأن نحلم قبل أن نضع خطوط تطورنا الحضاري .

بهذا الدافع سعيت لاصدار سلسلة « قصص الخيال العلمي » ، حتّى أقدم من خلالها لقارىء اللغة العربية نماذجاً من هذا الفن ، قديمة وحديثة ، كما حرصت على أن تجيء هذه النماذج ممثّلة لمختلف أنماط واتجاهات هذا النوع من الكتابة ، حتّى أعطي القارىء فكرة عن أبعاده .

وسنرى أن الموضوع الرئيسي في قصص الخيال العلمي ، هو موضوع صراع الإنسان مع ما صنعته يداه في سعيه لتطوير حياته .. الصراع المرير الذي قد ينتهي بانتصاره ، وقد ينتهي بهزيمته .. وهو الأمتداد الحديث للصراع التقليدي بين البطل الكلاسيكي وقدره المكتوب ، فالتطّور هو قدرنا دائماً ..

ويجمع نقّاد الأدب على أن أوّل قصة خيال علمي ، بالمعنى الدقيق للكلمة ، تعرفها الحركة الأدبية ، كانت تلك القصّة التي كتبتها السيدة ماري شيللي ، زوجة الشاعر المعروف بيرس شيللي ، وكانت تحمل اسم « فرانكنشتين .. أوبروميثيوس الجديد » ، وذلك عام ١٨١٨ . وهذه القصّة تعتبر تطبيقاً نموذجيّا لما نقوله ، لأنّها قصة الإنسان المتمرّد على الطبيعة ، الذي يدخل في تحدّيات معها ، فينهزم في النهاية في مواجهة ما صنعته يداه . هذه القصّة ، التي يعتبرها النقّاد من القصص الذكية المركّبة الرائعة ، لم تلق قبولاً من حركة الأدب الانجليزي باعتبارها « عمل يتضمّن عناصراً من الخيال العلمي » ! .

والغريب في الأمر أن هذه القصّة لم تجد قبولاً أيضاً لدى أهل قصص الخيال العلمي ، فهم يأخذون على القصّة أنها فتحت الباب واسعاً أمام سيل من أفلام الرعب الرخيصة . بالرغم من عدم وجود صلة بين تلك

الأفلام وهذه القصّة .. سوى اشتراكها فقط في الأسم « فرانكنشتين » ، مع فارق أن هذه الأفلام أطلقت الأسم على الوحش ، لا على صانعه كما فعلت القصّة .

ومن بعد « فرانكنشتين » ، تدفّقت قصص الخيال العلمي ، وتصاعد عدد مطبوعاتها ، وصدر العديد من مجلاّت قصص الخيال العلمي الدورية ، في أنحاء العالم . وهذا يعني أن الجمهور قد استجاب لها ، وأقبل عليها .

الثابت ، أن قصص الخيال العلمي هو أدب القرن العشرين ، وهو آداة من أدوات التأمّل الجريء للإنسان في الطبيعة والواقع ، وفي مكانته داخل الكون .

وقصص الخيال العلمي بالنسبة للحركة الأدبية العالمية المعاصرة ، عقيدة تستند إلى منهج علمي ، منهج نابع من صميم التطّور التكنولوجي الراهن ، والحضارة البشرية المعاصرة . انهّا من أشكال الأدب التي تتيح لنا أن نمعن النظر في أحوال الإنسان والإنسانية . انهّا تساعد الإنسان على اكتشاف نفسه ، ومعرفة معنى أن يكون إنساناً . انهّا خلاصة المواجهة المتبادلة بين الظروف السريعة التغير ، والإدراك الإنساني بشكل عام .

نحن نقدم في سلسلة «أغرب قصص الخيال العلمي» ، قصصاً لأهم كتّاب هذا النمط الأدبي ، من أمثال آرثر كلارك وإيزاك أزيموف وراي برادبوري وبرترام شاندلر ، آملين أن تساهم في نشر وإشاعة هذا النمط الهام من أنماط التعبير الأدبي ، الذي نحن في حاجة شديدة إليه .

راجي عنايت

أنا الذي صنعتك ...

لقد تم لها القضاء على الأعداء ، لكنها تحس الآن بالانهاك . وفي الليل ، ربضت على الصخرة الشاهقة ، شاحبة ، جامدة ، جريحة . جلست تحت السماء المظلمة ، تتسمع الأرض بأقدامها ، بينما تتحرك آذانها التي على شكل الأطباق ، حركة منتظمة بإيقاع بطيء ، تمسح ما يجري على سطح الأرض ، وما يدور في السماء . كانت الأرض ساكنة ، بلا نسمة هواء . لا شيء يتحرك ، غير ذلك الشيء الضعيف الممدد داخل الكهف . من حسن الطالع أن شيئاً ما لا يتحرك . فهي تكره الأصوات والحركات . لقد جرت زراعة هذه الكراهية في عمق كيانها . أما بالنسبة لذلك الشيء القابع في الكهف ، فليس هناك ما يمكن عمله قبل أن يطلع الفجر . وارتفع صوت ذلك الشيء ، تتردد تمتمته بين الصخور .

« النجدة .. هل قضي عليكم جميعاً ؟ .. ألا تسمعوني ؟ .. هذا سواير .. سواير ينادي .. سواير ينادي .. » .

لم تكن التمتمات منتظمة . لم يكن لها نظام خاص . لذا فقد تجاهلتها ، ورفضت الإستماع إليها . لقد تشبع كل شيء بالرطوبة والبرد . مضت الشمس ، وبدأ الليل الطويل الذي يمتد إلى مائتي وخمسين ساعة ، تسودها الظلمة ، باستثناء ذلك الضوء الخافت لفلك السماء ، والذي لا يصلح كغذاء لها .

جلست جريحة على الصخرة الشاهقة في انتظار العدو. لقد أتى مهاجماً من خارج عالمها خلال الساعات الأخيرة من بعد الظهيرة . أقبل بصفاقة ، بلا مناورات دفاعية ، أو نيران هجومية . لقد حطمتهم جميعاً بكل سهولة ، أولاً الركام المتحرك للعدو الذي يقعقع على عجلاته ، ثم الأعداء الصغار الذين هرولوا خارجه . لقد نجحت في اصطيادهم واحداً بعد الآخر ، فيما عدا ذلك الشيء الذي زحف إلى داخل الكهف ، واختفى في ثنايا أنفاقه .

لقد انتظرت طويلاً ظهور ذلك الشيء من الكهف. ومن موقعها الممتاز على قمة الصخرة الشاهقة ، كان بإمكانها أن ترصد المكان على مدى عدّة أميال حولها ، الفوهات ، والصخور ، والأخاديد ، والامتداد الواسع للتراب العقيم المجدب إلى الغرب ، والأطار الخارجي للموقع المقدس قريباً من البرج المقام في منتصف عالمها . كان الكهف عند أسفل الصخرة إلى الجنوب الشرقي منها ، على بعد ألف ياردة . وكان بإمكانها أن تحرس مدخل الكهف ، بواسطة قاذفاتها الصغيرة المصوبة نحوه ، و بهذا يستحيل على هذه البقية الباقية من العدو أن تفر .

لقد سئمت تمتمات ذلك الشيء الكريه ، بمثل سأمها آلام جروحها ، وهي تنتظر بصبر نافذ ، ذلك الوقت الذي يمكنها فيه أن تستريح . لقـــد أثرت جراحها على فعالية حواسها ، واستهلكت الكثير من طاقتها . لم يعد باستطاعتها أن تميز بين الصديق المعالج والعدو . عالمها الآن لا يضم سوى الخصوم والأعداء .

«كولونيل أوبري ، هذا هو سواير ، أجبنى .. أنا محاصر في أحد مخازن الذخيرة . أعتقد أن الآخرين قد ماتوا . لقد انقّضت علينا بمجرد

أقترابنا منها . سواير ينادي أوبري .. سواير ينادي أوبـري .. هـل تسمعني ؟ .. لقد بقيت لدى اسطوانة أكسجين واحدة فقط .. كولونيل .. أجبني .. » .

مجرد ذبذبات صوتية بين الصخور .. ليس أكثر من هذا .. مثيرات ضعيفة لا تعكر هدوء العالم المقدس الذي تحرسه . لقد تحطم العدو ، فيما عدا ذلك الأثر الباقي في الكهف . وقد تم تجميد ذلك الشيء ومنعه من الحركة .

أخذ غضبها يتصاعد نتيجة لالآم جروحها ، ولم يكن في مقدورها إيقاف اشارات التعطل الواردة من أعضائها الجريحة . كما لم يكن بإمكانها أن تقوم بالإجراءات التي تلحّ تلك الإشارات على القيام بها . بقيت فوق الصخرة الشامخة ، تعاني ، وتمضغ الكراهية . لقد كرهت الليل ، فـلا طعام بالليل . وهي تلتهم الشمس كل نهار ، لتدعم طاقاتها في مواجهة الليل الطويل .. الطويل .. وقبل أن يطلع الفجر ، تشعر بالضعف يدب في أوصالها ، ويتضاعف نهمها إلى الشمس . من حسن طالعها ، أن الهدوء والسلام عادا ليسودا عالمها هذا الليل ، حتى يمكنها أن تحافظ على رصيدها من الطاقة ، وتحمي أوعيتها من البرد . إذا تسلل البرد خلال الطبقة العازلة إلى داخل جسمها ، سرعان ما تطلق أجهزة الاستقبال الحرارية إشارات التحذير ، ويتضاعف بهذا عذابها . كان لديها مـا يكفيها من العذاب ، وفيما عدا ساعات المعارك ، لم تكن لها من ملذات ، سوى التهام الشمس .

« انقذوني .. النجدة .. هذا هو كابتن جون هاربن سواير .. مـن

رجال الوحدة المتحركة ، بقسم التخطيط والمعلومات ، في حملة الإنقاذ القمرية ١٦ .. ألم يبق أحد حيّا على سطح القمر ؟ .. اسمعوني .. أنا مصاب . لقد مضى عليّ هنا وقت طويل ، لا يعلم مداه الا الله ، داخل رداء القمر . لقد بدأت أتعفن .. أخرجوني من هنا .. » .

مكان العدو خارج عالمها ، فإذا اقترب متجاوزاً حدوده ، يقضي واجبها بقتله . هذه هي الحقيقة الكبرى التي عرفتها جيداً منذ يوم خلقها . لا يسمح بتعدي الحدود ، الا لمن كانوا من الأصدقاء المعالجين ، غير أنهم لم يعودوا يظهرون . أو أنها لم تعد قادرة على استدعائهم ، أو التعرف عليهم ، بسبب الجروح التي تعاني منها .

بعد ساعة ، بدأ الشيئ زحفه داخل الكهف ، فأخذت تتصنت على الحفيف الخافت لزحفه فوق صخور الكهف . انزلت واحدة من سماعاتها الحساسة إلى الأرض تتتبع الصوت .. أحست أن بقايا العدو تزحف بنعومة تجاه فتحة الكهف ، فوجهت احدى قاذفاتها ، وأطلقت دفقة من اشعاعاتها القاتلة تجاهه .

« ايتها المتوحشة اللزجة .. دعيني في حالي .. أنا سواير .. ألا تذكريني ؟.. لقد قمت بتدريبك منذ عشرة أعوام .. كنت دائماً كالعجينة اللينة بين أصابعي .. ها ها ها .. دعيني أخرج .. » . وصمت الصوت قليلاً ، ثم قال « أنا صديقك .. لقد انتهت الحرب منذ شهور .. شهور قمرية طويلة .. ألا تفهمين ايتها (المتذمرة) ؟ .. هكذا أسميناك في مراحل التدريب .. ألا تعرفي (بابا) الذي علّمك يا بنيّي ؟ .. » .

أثارت ذبذبات الصوت أعصابها ، وضاعفت غضبها ، فبدأت تتحرك

على الصخرة ، تدير جرمها الضخم بوقار . دارت محركاتها بصوت مرتفع ، وانطلقت تهبط سفح الصخرة . عندما وصلت إلى الأرض المنبسطة ، أسرعت في حركتها ، حتى وصلت إلى بعد خمسين ياردة من الكهف . وجهت قاذفاتها إلى فتحته ، ثم أطلقت مائتي شحنة من اشعاعاتها القاتلة . وبدون توقف ، استدارت ، وعادت إلى مكانها فوق الصخرة . ساد الهدوء لبعض الوقت ، غير أن سمّاعاتها الحساسة التقطت اثاراً ضعيفة لأجسام تتحرك بعيداً . كانت الأصوات أضعف من أن تسبب لها إزعاجاً .

« سواير ينادي .. أنا مصاب .. هل تسمعوني ؟ .. أصابت ساقي شظية من الصخر . النزيف شديد ، ولا يجدي معه الشريط اللاصق .. سواير ينادي أوبري .. سأضخ الماء في رداء القمر حول الساق ، و ، أعمل على تجميدها .. سأخسر ساقي .. » .

* * *

تربعت فوق الصخرة ، وتوقفت محركاتها ، التي تتسبب حركتها في مزيد من آلامها ، وفي صبر نافذ ... انتظرت مطلع الفجر . غير أن الأصوات الخافتة القادمة من بعيد بدأت تتضح معالمها بشكل يبعث على الغيظ . بهدوء دفعت من جوفها مثقاباً ، وارتفع صوت المثقاب وهو يشق الصخر . أعادت المثقاب إلى جوفها ، وتدلى منها ميكرفون حساس دقيق ، داخل الحفرة التي شقها المثقاب .. وراحت تتابع الأصوات البعيدة من جوف الأرض .

صدر هدير خافت من الصخر ، يختلط بأنين الشيئ المرتمي داخل

الكهف . وعلى الفور ، أخذت تقارن هذا الهدير بذكرياتها المسجلة داخلها . فتذكرت ، هذا الصوت يصدر عن جسم متحرك على عجلات تجاه الجنوب . حاولت أن ترسل نبضات الأستفهام الأساسية : « هـــل أنتم أصدقاء ؟ » . غير أن جهاز الإرسال كان متعطلاً ، فلا بد إذاً ، أن تكون الأصوات صادرة عن حركة الأعداء . تربصت في غضب انتظاراً للمعركة القادمة . وأخذت تهتز بقلق فوق الصخرة . وفجـــأة التقطت أجهزتها ذبذبات شبيهة بالتي تصدر عن الكهف ، ألاّ انها في هذه المرّة تأتي من فوق سطح الأرض ، على موجات طويلة .

« مركبة القمر ١٦ .. القيادة تنادي .. أسمعنا صوتك .. » .

ثم ساد السكون . توقعت رداً من الكهف ، فهي تعلم من تسجيلات ذاكرتها ، أن وحدات العدو تتبادل الذبذبات الصوتية . وفكرت في أن الموجات الطويلة قد لا تتمكن من اختراق صخور الكهف ، لتصل إلى الشيء المكوم داخله .

« مركبة الانقاذ ١٦ .. هنا أوبري .. ماذا حدث لكم بحق الجحيم ؟ .. هل تسمعني ، أوبري ينادي ... حوّل .. » .

تسمعت للأصوات الصادرة من جوف الأرض بحرص . لقد توقف الهدير لبعض الوقت ، ثم عاد بعد دقائق متصاعداً . أبرزت احدى آذان الإستماع البعيدة المدى، التي تلتقط الأصوات على بعد عشرين ميلاً ، فالتقطت الأذان أصوات الهدير . تحول غضبها الكامن إلى حقد نشيط . فأدارت محركاتها جميعاً ، وهيّــأت نفسها لمعركة قادمة .

« مركبة القمر ١٦ تنادي .. هذا هو أوبري .. أعتقد أن جهاز الاتصال

اللاسلكي الخاص بكم لا يعمل .. إذا كنتم تسمعونا ، نفذوا التالي .. نحن نقترب شمالاً ، أبعد بخمسة أميال من مدى قذائف الاشعاع . سنتوقف ونطلق صاروخ استطلاع في المنطقة (أحمر - أحمر) ، الصاروخ يحمل جهاز التقاط وإرسال صوتي . إذا كان لديكم جهازاً لقياس الذبذبات الأرضية ، ستتمكنون من الأتصال بنا ، عن طريق الجهـــاز الذي يحمله الصاروخ » .

تجاهلت الذبذبات ، وانهمكت في مراجعة اسلحتها القتالية . قـامت بالتفتيش على مخازن الطاقة ، وتأكدت من سلامة مفاعلات القذائف . أخرجت من داخلها عيناً تراقب بها مدخل الكهف ، انتظرت عشر دقائق حتى انتهت العين من اتخاذ موقعها عند المدخل ، ترصد العدو إذا حاول الخروج ، وترسل إليها بلاغاً ، فتقضي عليه بقذيفة إشعاع . ارتفع صوت الهدير الصادر من الأرض ، فاستكملت استعداداتها ، ثم تحركت من فوق الصخرة ، متجهة جنوباً بسرعة متصاعدة . مرّت ببقايا مركبة القمر التي كانت قد مزقتها ، وقد خرجت منها أحشاؤها من محركات وأجهزة دقيقة ، لقد شقتها قذيفة الإشعاع إلى نصفين ، وكانت بقايا العدو من الأشياء الصغيرة ذات الساقين منثورة حولها على الأرض . بدا المشهد ممتعاً على ضوء كوكب الأرض ، غير أن (المتذمرة) تجاهلته ، وواصلت طريقها إلى الجنوب .

فجأة .. لمعت في الأفق الجنوبي ومضة خاطفة .. ثم ارتفعت في الفضاء نقطة من اللهب تتجه إلى أعلى ، عابرة السماء . توقفت (المتذمرة) وتابعت مسار النقطة . انها قذيفة صاروخية ، ستسقط حسب معلوماتها

في النصف الشرقي من منطقة أحمر   أحمر . لم يكن الوقت المتاح ليسمح باصطياد القذيفة واسقاطها بأسلحتها . انتظرت ، وقدرت أن القذيفة ستنفجر بلا خسائر ، في منطقة عديمة الأهمية . غير أن القذيفة - بعد عدّة ثواني - توقفت في الفضاء ، وغيرت اتجاهها معتمدة على محركاتها النفاثة ، واختفت في جهة ما بعيداً عن عيونها ، خلف بعض التلال . لم يكن هناك أي انفجار . كما لم تسمع أو تلاحظ أي نشاط في المنطقة التي وصلت إليها القذيفة . وعادت أصوات الذبذبات .

« مركبة الأنقاذ ١٦ .. أوبري يتحدث .. لقد أطلقنا لتونا جهاز الألتقاط والأرسال في منطقة أحمر – أحمر ... إذا كنتم في محيط خمسة أميال منه ، يمكنكم الإستماع » .

على التو ظهرت استجابة ، استمعت إليها أذن (المتذمرة) ، قادمة من الكهف .

« شكراً لله ... ها ها ها ... شكراً لله .. » .

في نفس الوقت استمعت أذن أخرى إلى نفس الذبذبات ذات الموجة الطويلة من ناحية المنطقة التي هبط إليها الصاروخ . توقفت (المتذمرة) حائرة لبعض الوقت ، ودفعتها حيرتها إلى اطلاق قذيفة اشعاع على مصدر الصوت . غير أن الأذن الموجهة إلى موقع سقوط القذيفة ، لم تسجل أي حركة هناك . فكرت ، أن العدو الرابض إلى الجنوب هو مصدر الإزعاج الاساسي ، فإذا استطاعت القضاء على العدو الرئيسي أولاً ، سهل عليها بعد ذلك أن تزيح مصادر الأزعاج الأخرى .

- « أوبري يتحدث .. اسمعك بصعوبة .. من الذي يتكلم ؟ .. » .

- « أوبري .. هذا صوت .. صوت حقيقي أم أنني فقدت عقلي ؟ ! . » .

- « هنا أوبري .. هنا أوبري .. كفى هذياناً واخبرني من أنت .. ما الذي يحدث عندك .. هل تمكنتم من ابطال حركة (المتذمرة) ؟ .. » .

كان رد الفعل الوحيد صرخة ألم أطلقها سواير .

« اسمع .. أنت سواير .. لقد عرفتك .. تماسك يا سواير . مـــا الذي حدث ؟ » .

« موتى .. كلهم موتى .. ما عداي .. ها ها ها .. » .

- « أوقف ضحكاتك الغبية هذه ... » .

تبع هذا صمت طويل ، ثم تكلم سواير بصوت خفيض ، يصعب سماعه بسهولة : « وهو كذلك .. سأتماسك .. هل هذا هو أنت حقيقة يا أوبري ؟ .. » .

« سواير .. كيف أنت ؟ .. هل أصبت بالهلوسة ؟ .. نحن نجتاز المنطقة أحمر أحمر في مركبة قمرية . والآن ، أخبرني بتفاصيل الوضع .. نحن نحاول الأتصال بكم منذ عدّة أيام » .

« لقد استدرجتنا (المتذمرة) عشرة أميال داخل المنطقة أحمر - أحمر ، ثم عاجلتنا بقذيفة اشعاعية » .

- « وجهاز (ى . ف . ف) المخصص للاتصال بها .. هل تعطل لديكم ؟ » .

- « لا .. ولكن جهاز الاستقبال عند (المتذمرة) لا يعمل . بعد أن أرسلت قذيفتها إلى مركبتنا القمرية .. أخذت تلاحق الأربعة الذين نجوا من المركبة بقذائفها .. ها ها ها .. هل شاهدت يوماً دبابة شيرمان تطارد

فأراً أيها الكولونيل ؟ .. » .

– « كفى ... سواير ، ضحكة أخرى ، وأتركك لحالك... » .

– « أرجوك .. أخرجني من هنا .. ساقي .. أخرجني من هنا .. » .

– « هذا إذا أمكننا ذلك .. أولاً ، حدد لي وضعك الحالي » .

– « ساقي .. لقد جرحت .. واضطررت إلى ضخ الماء في رداء القمر حول الساق ، ثم تجميدها .. لقد ماتت ساقي الآن .. لا أستطيع البقاء هنا طويلاً .. » .

– « سواير .. وضعك يا سواير .. وضعك ، وليس آلامك وأوجاعك .. » .

توقفت (المتذمرة) بأسلحتها وأجهزتها على أهبة الأستعداد . تتصنت على الذبذبات المتبادلة . العدو يتحرك الآن ببطء ، إلى الشمال تجاه منتصف عالمها . كان من الممكن تحطيمه لو أن جهاز القذائف الصاروخية بها لم يتعطل . أما القذائف الإشعاعية ، فمداها خمسة وعشرين ميلاً فقط . ورغم أن القذائف الصغيرة يمكنها أن تلحق بالعدو في مكانه الحالي ، الا أن كفاءة التصويب ستصل إلى الصفر على هذا البعد . يجب عليها أن تنتظر اقتراب العدو ، حتى يدخل إلى نطاق القذائف الإشعاعية .

– « اسمع يا سواير .. إذا كان جهاز (ى . ف . ف) . عند (المتذمرة) لا يعمل ، لماذا لم تطلق قذائفها الصاروخية على مركبتنا القمرية حتى الآن ؟ .. » .

– « هذا هو ما ضللنا نحن . لقد دخلنا المنطقة أحمر — أحمر ، ولم يحدث شيء ، أما لأن قذائفها الصاروخية قد نفذت ، أو لأنها احتبست

داخل مجرى الأطلاق » .

- « إذاً .. فنحن مضطرون إلى التوقف في مكاننا هذا .. للبحث عن مخرج من هذا المأزق » .

- « أوبري .. انصت جيداً لكلامي .. الحل الوحيد لهذه المشكلة .. هو أن تطلب من القاعدة إطلاق صاروخ لاسلكي موجة » .

- « لتحطيم (المتذمرة) .. ؟ . أنت مجنون بلا شك .. إذا تحطمت (المتذمرة) ، فمعنى هذا أن كل المنطقة حول الحفارات ستنسف عالياً في السماء ، حتى لا تقع الحفارات في أيدي الأعداء .. ألا تعرف هذا ؟ .. » .

- « وهل تظنني أهتم بذلك ؟ ... » .

- « توقف عن الصراخ يا سواير .. هذه الحفارات هي أغلى ما نملكه على القمر .. لا يمكن بأي حال المغامرة بفقدها .. فهذا هو ما صنعت من أجله (المتذمرة) . إذا ما انفجرت الحفارات ، سننفذ حكم الأعدام في شخصي قبل أن أهبط بصاروخي إلى الأرض .. » .

كانت الأستجابة وسط شهقات البكاء : « ثماني ساعات من الأكسجين .. ثماني ساعات فقط .. هل تسمعني ؟ .. أيها الغبي القاسي .. » .

* * *

توقف العدو الذي في الجنوب عن الحركة على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من التل الذي تتربع عليه .. فقط على بعد ثلاثة أميال من مدى قذائفها الأشعاعية . عانت لحظات من الكراهية العميقة . فأخذت تتراقص إلى

الأمام وإلى الخلف ، بطريقة تكشف عن الأحباط الذي تعانيه ، محطمة الصخور من تحتها ، مثيرة عواصف التراب في الجو . وبدأ شعورهـــا بتناقص رصيدها من الطاقة المخزونة داخلها ، يكبدها المزيد من الالآم .

هدأت لحظات لتجري تقيـيماً للموقف . فتوصلت إلى خطة .

شغّلت محركاتها ، وتدحرجت ببطء حتىٰ وصلت إلى قمة التل ، ثم هبطت بشكل انسيابي على الجانب الآخر منه . أسرعت إلى الشمال لمسافة نصف ميل على الأرض المنبسطة ، ثم أبطأت حركتها ، وقامت بمناورة دقيقة رغم ضخامة حجمها ، حتى وصلت إلى مخزن احتياطي للطاقة ، كانت قد أخفته بعد أن شحنته بأشعة الشمس . اتخذت وضع التغذية ، وأخرجت ملامسها لتـتصل بملامس المخزن في مهارة كاملة .

أخذت تـتسمع أصوات العدو ، بينما كانت معداتها تعب الطـاقة بشراهة من المخزن الاحتياطي . غير أن العدو لم يتحرك وبقي في مكانه . ابتعدت بحرص عن مخزن الطاقة ، فقد كانت مثل هذه المخـــازن الأحتياطية ، مصدر قوتها خلال الليل القمري الطويل .

- « لا أعلم ماذا أفعل لك يا سواير . نحن لا نجروء على تحطيم (المتذمرة) ، ولا توجد قوات أخرى لنا على القمر . لا بد أن أتصل بالأرض لطلب المعونة . لا يمكن أن أرسل رجالي إلى المنطقة أحمر أحمر ، إذا ما كانت (المتذمرة) قد جنّت نتيجة لتعطل أجهزة الأتصال بها ... مثل هذا التصرف سيعتبر جريمة حقيقية .. » .

- « أرجوك يا كولونيل .. من أجل السماء .. » .

- « أسمع يا سواير .. أنت الذي أشرفت على صناعة (المتذمرة)

وتدريبها . ألا تعرف طريقة يمكن بها تعطيل نشاطها .. دون أن نحطم منطقة المناجم ؟ .. » .

* * *

خيمّ الصمت . وعادت (المتذمرة) من رحلة التزود بالطاقة . تحركت لعدّة ياردات تجاه الغرب ، وأطلقت عدّة آذان في مختلف الآتجاهات ، لتستطيع تحديد مكان العدو ، وتتبع حركته بكل دقة . فسجلت الآذان مرة أخرى المزيد من الذبذبات .

- « تكلم يا سواير ... » .

- « ساقي .. ستقتلني .. » .

- « ألا تستطيع التفكير في طريقة ما ؟ .. » .

- « نعم ... ولكنها لن تفيدني .. سأموت قبل أن يتحقق شيء ما » .

- « حسن ... دعنا نسمع فكرتك » .

- « اضربوا مخازن الطاقة الأحتياطية الخاصة بها .. واستدرجوها إلى حركة دائمة أثناء الليل .. » .

« كم ينقضي من الزمن حتى تنفذ طاقتها ؟ .. » .

« ساعات .. ساعات طويلة .. حتى تعثروا على مخازن الطاقة .. وتنجحوا في تحطيمها .. ساعات طويلة .. اطول مما أحتمل .. » .

« ألا تستطيع أن تفكر في حل آخر ؟ .. » .

« نعم .. لقد سبق أن ذكرته .. أطلب صاروخاً لاسلكياً موجهاً .. ألا تفهم يا أوبري ؟ .. لقد قتلت (المتذمرة) ثمانية من الرجال العاملين تحت قيادتك .. » .

- « سواير .. أنت الذي علّمتها ذلك يا سواير .. » .

عمّ السكون المطبق . وأخذت (المتذمرة) تعد منصة الأطلاق للقذيفة الإشعاعية ، وتوجه جهاز الرصد استعداداً لاطلاق القذيفة . ثم انطلقت في اتجاه التل بأقصى سرعتها ، وفمها زاخر بالموت والدمار . ارتفعت أصوات محركاتها ، كالعاصفة الرعدية العاتية ، وأخذت تعدو إلى الجنوب ، حتى وصلت إلى قمّة التل . ومن فوقه ، متزودة بالطاقة الجديدة التي استمدتها حديثاً ، اندفعت تهبط بالسرعة القصوى .. وأثناء هذا الأندفاع أطلقت قذيفتها .

- « سواير .. أنا آسف .. ليس أمامنا الآن سوى أن ..... » .

توقفت ذبذبات العدو فجأة ، وارتفع جبل من النار تجاه الجنوب .. ثم هدأ كل شيء ، وسجلت آذنها ذبذبات الشيء الذي في الكهف فقط . توقفت (المتذمرة) لتقيس ردود فعل قذيفتها ... إنه النصر .... لقد قضت على العدو الرئيسي.

مفعمة بالسعادة .. تدحرجت (المتذمرة) بكسل ، واتجهت إلى الشمال .. إلى مركز عالمها .. أصبح كل شيء على ما يرام .

- « أوبري .. لماذا توقفت عن الكلام .. كلمني أيها الجبان .. كلمني .. أريد التأكد من أنك تسمعني .. » .

بلا هدف ، سجّلت (المتذمرة) هذه الضوضاء التي لا تعني عندها شيئاً .. وأخذت تدرسها دون جدوى .. ثم بحركة عابثة .. أخذت تذيعها على الموجات الطويلة .. وجلجل في سكون القمر ذلك النداء مرّة أخرى « أوبري .. لماذا توقفت عن الكلام .. كلمني أيها الجبان ..

كلمني ... أريد التأكد من أنك تسمعني .. » .

* * *

صمت الشيء الذي في الكهف . بدت الليلة يعمها السلام من جديد . تلألأت النجوم على صفحة السماء السوداء . لا شيء يتحرك . انه أمــر مريح . كان كل شيء على ظهر عالمها الخالي من الهواء يعيش في سلام . لقد حلّ السكون المبارك .

مرّة واحدة فقط تحرك الشيء الذي يكمن داخل الكهف . حركات بطيئة خافتة ، حتى أن أجهزة (المتذمرة) لم تسجل أصواتها . زحف إلى مدخل الكهف ، واستلقى هناك ، يسترق النظر إلى الوحش الفولاذي الرابض على الصخرةِ الشامخة .

« أنا الذي صنعتك .. ألا تفهمين ؟ .. أنا الأنسان الذي صنعك .. » .

بعدها ، تحرك الشيء قليلاً ، ساحباً خلفه احدى ساقيه ، لتسقط عليه الأضواء المنعكسة من كوكب الأرض . رفع رأسه كما لو كان يريد أن يلقي نظرة على كوكب الأرض المعلق على صفحة السماء السوداء .

تجمّــع الغضب داخل (المتذمرة) ، فتدحرجت على الصخرة ، وخفّضت منصة اطلاق القذائف .

« أنا الذي صنعتك .. » ، رددها الشيء الملقى على الأرض أكثر من مّرة .

أنها تكره الضوضاء والحركة . فقد زرعوا هذه الكراهية في عمــق أعماق كيانها . وبغضب صادق ، تكلمت قذائفها .

للبقية الباقية من الليل ... عــمّ السكون المبارك .

الهواء الملوّث

منذ زمن ليس ببعيد ، اعتاد الصبي الصغير جيري أن يجلس في شرفة منزل والده ، المكيفة الهواء ، يراقب من خلال الزجاج ، ركام الضباب الممتزج ببخار المصانع ، وهو يمضي مثل كتل من القطن المنفوش القاتم اللون ، ليكاد أن يخفي التلال التي في خلفية المشهد . جرى ذلك في لوس انجلوس القديمة ، عندما كان الضباب الأصفر العكر ، يمتزج امتزاجاً تاماً بالوحل الملوث لقناة كاتالينا ، فيرتدي العقلاء كمامات الأكسجين لحماية أنفسهم من الخطرين الممتزجين .. كان ذلك قبل أن يذهب جيري إلى السجن !

ثارت المشكلة أساساً حول جد جيري الذي كان يعيش معهم . والجد الطيب لم يكن ليثير مشكلة ما عند أسلافه الأول في العصر الجليدي ، فقد كانوا سيعتبرونه ببساطة زاداً جديداً لإناء الطهي الجماعي . كما لم يكن ليشكل أزمة في روما أبان عهد القياصرة ، فقد كان سيجد من يحتفر ثغرة في الأرض ، يضعها فيه ، ليكسب رضا جوبيتر كبير الآلهة .. ألا أن المدنية غالباً ما تخلق من المشاكل ، بقدر ما تحل منها .

فقد توفي جد جيري ، وكانت هذه مشكلة حقيقية ! ! ..

لم يكن جيري مسؤولاً عن هذه المشكلة .

خرج الرجل المسن في عصر اليوم السابق ، كما هي عادته طوال السنين العديدة التي لا يتذكر جيري مداها ، للقيام بنزهته التقليدية . وضع الجد قناع الأكسجين على وجهه ، وأحكم وضع السترة الصوفية السميكة حول جسده ، تحسباً من البرد ، كما كان يفعل كل يوم . ابتسم الجد لحفيده قبل خروجه ، وغمز بعينه كعادته ، ثم سار برشاقة إلى خارج البيت تنعكس عليه الأشعة الوردية للشمس الغاربة .

ذلك اليوم ، لم يعد جد جيري في موعده .

تأخر عن موعد عودته .

تأخر عن موعد العشاء العائلي .

كما تأخر عن موعد القصة التي اعتاد أن يحكيها لجيري ساعة النوم .

ظهر القلق واضحاً على وجه والد جيري . لقد سدد ضريبة حماية الأفراد المعتادة التي تتقاضاها الدولة عن كل فرد من أفراد الأسرة ، غير أن مخاوفه كان مصدرها ، ذلك التزايد الملحوظ في نسبة أول أكسيد الكربون في الجو .

اتصل والد جيري بالشرطة .

قال الشرطي صاحب النوبة بصوت نشط « نعم .. تقول إنه والدك ، وإنه يتبع (فئة المواطن الأسبق رقم ١٠٧ ج) .. ويعيش معك في نفس البيت .. وتقول أنه مفقود .. والاسم .. الاسم آه » ، تحقق الشرطي من اللوحة المضيئة تحت صورة المتحدث بالتليفون في جهاز استقباله .. « آه .. السيد جرين » .

واصل والد جيري حديثه قائلاً « نعم يا سيدي الضابط ، لقد تعود أن

يقوم عصراً ، بجولة على قدميه رغم كل تحذيراتي .. أنت تعرف مدى عناد كبار السن .. لكنه كان يعود دائماً في موعده قبل السابعة مساء . صراحة .. لقد بدأت أقلق عليه يا سيدي الضابط .. فالساعة الآن العاشرة » .

أجاب رجل الشرطة بجفاف « أنا أعرف جيداً ، كم تبلغ الساعة الآن » ، واسترق نظره إلى صورة المتحدث على شاشة التليفون ، فوجد وجه المتحدث لا يحمل سوى الخوف الصادق ، فعاد لينظر إلى شاشة المعلومات أسفل شاشة الصورة ، وقال « أرى إنك دفعت الضريبة المحلية وكذلك .. كافة الأستحقاقات الأخرى » .. والقى نظرة أخرى مدققة ، ثم سأل « وهل اشتريت له بطاقة التجول البوليسية ؟ » .

بادر والد جيري قائلاً « طبعاً .. بالتأكيد .. لقد سلمت أبي بطاقته الجديدة في عيد ميلاده الأخير .. وهو يحملها معه دائماً .. أنا متأكد من هذا » .

هز رجل الشرطة رأسه وقال « هذا يستبعد احتمال العنف المنظم ، إلاّ إذا كانت هناك عصابة جديدة تحاول الدخول إلى المنطقة .. ولو أنه من غير المحتمل أن يحدث هذا ، دون أخطارنا مسبقاً » صمت الرجل قليلاً ثم قال « دعنا أولاً نملأ هذه الاستمارة ، بعدها أوفد اثنين من الشرطة بمركبة أرضية للبحث عنه .. فربما يكون قد ضل الطريق » .

سحب الشرطي استمارة رقم ٨٤٥٣١٦٠ – س ك . بسطها بعناية على مكتبه مستعداً للكتابة .. « والآن .. ما الأسم الكامل للمفقود ؟ » .

– شارلزها سكنز جرين ..

– واللقب المميز ؟

- فئة المواطن الأسبق ، رقم ١٠٧ - ج .

- والعمر ؟

- ستة وسبعون .

- إنه متقدم في السن . متأكد أنت أنه لم يصل إلى الثمانين ؟

قال والد جيري منفعلاً « لا .. لا يا سيدي الضابط أنا .. أنا لا يمكن أن أحاول الغش في نصيبي من (الحصة) ولماذا ألجأ إلى هذا ، إذا .. » .

قال الضابط مقاطعاً « وهو كذلك يا سيد جرين .. وهو كذلك .. أنا أصدقك . هذه على أي حال الأستمارة الموجزة ، وسأرسل لك الأستمارة المفصلة بالبريد .. وأي تناقض في البيانات سيظهر حينذاك » .

وعلى مدى عدة دقائق ، تتابعت الأسئلة والأجابات التقليدية ، بقدر أقل من الأنفعال .. وسوء الفهم .

بدأت المتاعب الحقيقية ، في الشق الثاني من الأسئلة ، رغم أن السيد جرين ، كان يضع أمامه كراسة الأحصاءات والمعلومات الأساسية لأبيه وهو يتكلم .

رقم بطاقة المكتبة ؟

لقب الأم قبل الزواج ؟

رقم الدراسة العليا ، وتواريخ التخرج ، مع التقديرات التي حصل عليها الأب المفقود ؟

المؤهلات الوراثية .. ورقم شهادة الميلاد ؟

الأطباء ؟ .. تواريخ العمليات الجراحية ، وعمليات استبدال الأعضاء ، واسم واهب العضو المستبدل (أن وجد) ، وآخر عنوان له ؟

صاح السيد جرين بعصبية « لا أعرف .. لا أعرف .. لا أعرف » .

فقال الشرطي بهدوء « تحكم في نفسك يا سيد جرين » ، قالها وقد بدت على وجهه علامات الغضب ، وظهرت بوضوح على شاشة التليفون ، ثم استطرد « إذا لم يكن باستطاعتك الإجابة عن بعض الأسئلة البسيطة بهدوء .. أني أعجب ، كيف ستتصرف في مواجهة (الاختبار) في الأحصاء الرسمي للسنة القادمة ؟ ! » .

« أنا آسف .. سأحاول أن أضبط أعصابي .. لكني لا أعرف فعلاً كل هذه المعلومات ، فعندما ولد أبي ، لم تكن الأمور جيدة التنظيم كما هي الآن .. وهو .. قد فقد الكثير من الأوراق خلال سنوات عمره .. ولم يكن مهتماً بأن يستكملها » .

ضرب الشرطي بكفه على مكتبه وهو يصيح « أوراق مفقودة ! غير مكتملة ! انظر يا سيد جرين .. لن أسمح بخروج مركبة أرضية ، إذا لم تكن جميع الأوراق مستوفاة .. لا يمكن أن أطلب أذناً باستهلاك وقود ، وأضافة مزيد من التلوث إلى البيئة ، من غير أوراق كاملة .. كاملة .. وبالمناسبة ، لا تتوقع مني إرسال رجلين من رجال الشرطة على الدراجة للبحث في هذا الجو ، ومع الأوضاع الحالية للعصابات » .

تذكر جرين ، صورة رجال الشرطة الذين قتلوا عند ويلشاير في اليوم السابق ، في وضح النهار ، وقد جزت أعناقهم بمهارة بواسطة الشفرة المتحركة التي تستخدمها احدى العصابات المتجولة . أحس جرين أنه سيبدو كما لو كان يطلب إلى الشرطي أن يرسل رجاله ليلاقوا نفس المصير ، فقال « لا .. لا يا سيدي .. لم أقصد إلى هذا . كل ما في الموضوع

أن والدي .. » .

قال الشرطي مقاطعاً « الشرطة لا يمكن أن تكون مسؤولة عن المواطن الذي لا يحافظ على سجلاته كاملة ، كل ما يمكنني أن أفعله لك ، هو أن أبحث عنه صباحاً .. في ضوء النهار » .

« شكراً .. شكراً يا سيدي .. شكراً جزيلاً » .

« أنا آسف يا سيد جرين » .

استهلك والد جيري ، تلك الليلة ، علبة كاملة من حبوب « نوور » (المضمون سلامتها ، وعدم ضررها ، وعدم تسببها في الأدمان ، والمصنوعة من أفضل العناصر الطبيعية) . لكن الحبوب لم تساعده على الوصول إلى اجابة عن الأسئلة المطروحة ، بل أنها لم تساعد على تحسن حالته العصبية .

وغني عن البيان ، أن أحداً من رجال الشرطة لم يغادر مركز الشرطة للبحث عن العجوز المفقود .

* * *

في صباح اليوم التالي ، وجد الجد العجوز ، جثة هامدة ، متكوماً على الأرض ، على بعد مجمع سكني واحد من البيت .

عندما استدعي جرين إلى مركز الشرطة ، قال الضابط وهو يكتب تقريره « آسف يا سيد جرين ، لكن يبدو أن نسبة التلوث كانت عالية بالأمس . والآن ، علينا أن ننتهي سريعاً من اتمام البيانات المطلوبة ! ! » .

بلع والد جيري حفنة من حبوب « نوور » المهدئة ، وأجاب على اسئلة الضابط بأفضل ما أمكنه . قبل أن يغادر مركز الشرطة ، أخبره الضابط باعتقاده أن شخصاً مـــا ، أصغـــر مـــن الجد وأقوى منه ، سرق كمامة

الاكسجين الخاصة بالجد من فوق وجهه ، وتركه وحيداً ، يسعل ، وسط الضباب الأسود السام . وقبل أن ينصرف جرين ، تلقى كلمات العطف والتعزية من العاملين في مركز الشرطة .

وقف جيري هادئاً ، يراقب الذين حملوا جثمان الجد إلى البيت ، وهم يضعونه على سريره . ثم استمع إلى والده يتحدث تيليفونياً إلى مكتب دفن الموتى .

في وقت متأخر من عصر نفس اليوم ، حضر الرجل الموفد من « مؤسسة دفن الموتى » ، في يده حقيبة سوداء انيقة . كان طويلاً ، أسمر اللون ، على درجة عالية من الكفاءة . دخل البيت بلا تردد ، وواصل طريقه بنعومة وانسياب إلى مائدة المطبخ ، حيث وضع حقيبته ، وبحركة واحدة متسقة فتح الحقيبة ، كان من الواضح أنه يسيطر على الموقف تماماً .

قال « اسمي ديفرز» ، ثم واصل حديثه متوجهاً إلى والد جيري « والآن يا سيد جرين ، الذي فهمته ، انك تطلب من مؤسستنا أن تنظم لك ترتيبات جنازة الوالد . اسمح لي أن أهنئك على هذا الأختيار السليم . فمؤسستنا توفر تنوعاً كبيراً في انماط الجنازات ونماذج الاكفان .. ونحن نعد كل جنازة ونتولى كافة تفاصيلها ، وفقاً لوضع عائلة الفقيد ، ومطالبها العاطفية والروحية والأقتصادية . أما إذا كانت لديك الرغبة في شيء مبتكر غير عادي ، فعندنا جنازات شرقية ، بما فيها من نساء نادبات لاطمات . وعندنا جنازات فرعونية ، تظهر فيها الفتيات بثيابهن البيضاء الناصعة ، يضربن صدروهن العارية باكفهن ، على ايقاع موسيقى جنائزية أصيلة من الأسرة الثانية . وعندنا جنازات غجرية .. بل وعندنا حتى تنوع من

الجنازات العسكرية ، التي يضم بعضها عربات الذخيرة من الحرب الأهلية .. هذا بالاضافة إلى ما نقدمه من جنازات على طراز الفايكنج ، بقوارب الأرز الطويلة ، الأمر الذي يضمن لرحيل الفقيد أن يتم في إطار من المجد والفخامة . كل ما عليك هو أن تلقي نظرة على هذا (الكتالوج) .. » ، وناول السيد جرين مجلداً ضخماً ، وهو يقول « وان تختار الجنازة التي تعتقد أن المرحوم كان يفضلها » .

تناول والد جيري المجلد ، وراح يتصفحه ، ثم رفع رأسه سائلاً « وماذا يعني اصطلاح التخصيص الشخصي ؟ » .

قال السيد ديفرز بنشاط « آه .. ذلك يأتي بعد اختيار نوع الجنازة . نستعلم عن رصيدك في البنك ، ومعدل مديونيتك ، ومستقبلك الوظيفي .. واحتمالات الكسب الاستثنائية . كما نطلع على آخر نموذج خاص بالضرائب التي تدفعها ، ثم نقرر بعد ذلك إذا ما كان في امكانك أن تدفع أقساط تكاليف الجنازة بانتظام . عندها ، نخطرك بقرارنا .. هذه هي خطتنا للتخصيص الشخصي » .

خفض والد جيري رأسه باستسلام ، وهو ينظر إلى المجلد الذي بين يديه ، ثم أشار إلى صفحة منه قائلاً « ماذا عن هذا النوع ؟ » .

قال الرجل على الفور « هذا هو النمط الخصوصي للعائلات . غالباً ما يكلف حوالي خمسة آلاف دولار ، تزيد أو تقل وفقاً لنظام تحديد التكاليف ، وللتوصية التي يصدرها قسم التخصيص الشخصي التابع لنا . على أي حال هذا اختيار حكيم ، وسأتصل فوراً بمكتبنا لاراجع معه الخطة ، على سبيل التأكد » .

أخرج ديفرز جهاز اتصال لاسلكي صغير من حقيبته وتكلم فيه لعدة دقائق ، ثم استمع إلى الصوت المبحوح الذي يصدره الجهاز لدقائق أخرى ، والتفت قائلاً « لقد تم ترتيب كل شيء .. عربة الموتى المجهزة بجهاز لاسلكي في طريقها الينا ، كما تم اخطار المدفن وهم على استعداد لاستقبالنا .. كل ما علينا الآن ، هــو ان نملأ بيانات هــــذه الأستمارة الصغيرة » . ومرة أخرى ، مد يده إلى الحقيبة ، ليخرج منها استمارة طويلة ، اشبه بتلك التي عانى منها والد جيري عند اتصاله بالشرطة . قال السيد ديفرز وهو يبسط استمارته « من حسن طالعك يا سيد جرين .. ان مدفن المرحوم سيكون في (ميدولاند) ، منطقة ممتازة ، قريبة من المركز التجاري ، وعلى بعد خطوات منها ، تقع كنيسة (كل المذاهب) » .

كان السيد جرين قد انهى آخر علبة من اقراص « نوور» خلال هذا اللقاء ، فارسل جيري إلى الصيدلية المحلية بالبناية ، ليشتري علبة جديدة . لقد علم منذ البداية أنه سيكون يوماً عصيباً ، فاستلقى على مقعده في مواجهة السيد ديفرز .

عندما عاد جيري ، وجد والده وقد بدت عليه علامات احتياجه الشديد للأقراص ، لذا فقد تناول منها حفنة على الفور ، وقذفها إلى حلقه .

كان السيد ديفرز يقول « والآن يا سيد جرين ، إذالم تستطيع الوصول إلى رقم بطاقة المكتبة الخاصة بوالدك ، وأنواع الطعام التي كان يفضلها ، والطراز الذي كان يرتاح إليه ، الأسترالي المعقوف أم الكنتاكي الأزرق ، ورقم شهادة ميلاد أبويه ، ورقم وثيقة زواجهما .. إذا لم تصل إلى هـــذا ، أخشى أنه سيصبح من المستحيل دخوله إلى مدافن ميدولاند . ليست

المعلومات نفسها هي المهمة ، ولكن حقيقة انها مفقودة أو ناقصة هي صميم المشكلة . واخشى انه لن يصبح في امكاننا أن نتولى هذا العمل إذا لم تكمل البيانات في هذه الأستمارة » ثم أضاف بتشاؤم « وأنا واثـق أن المؤسسات الأخرى لدفن الموتى ، سيكون موقفها مثل موقفنا » .

قال السيد جرين محتداً « لكني لا أطلب منكم اطعامه ، أو تزويده بالكتب ، أو اختيار ما يناسب ذوقه .. عندما يكون الشخص ميتاً .. فهو ميت .. كل ما نطلبه له هو أن يدفن » .

أجاب ديفرز ، وهو يضغط على كلماته « لكني قد شرحت لك منذ قليل هذا الموضوع يا سيد جرين . مدنيتنا الحديثة تقوم على المعلومات المسجلة بدقة ، ويجب على المواطن أن يكون قـادراً على التعامل مـــع الاستمارات المختلفة بكل دقة وكمال .. هذا ما يطالب به القانون » . الطريقة التي قال بها السيد ديفرز هذه الكلمات ، لم تدع للسيد جريـــن شكاً في ان القانون صارم في شأن متطلباته .

قال جرين بيأس وحيرة « لكني لا أعرف من أين آتي بهذه المعلومات .. انها غير موجودة .. ماذا يمكنني أن أفعل ؟ ! » . تحشرج صوته ، وبدأ جسمه يرتعش بشكل ملموس . فقال ديفرز بتعاطف « هذه مشكلتـــك أنت .. أنا آسف .. ستظل يداى مغلولتان .. طالما انك لم توفق بعد إلى استكمال البيانات المطلوبة » وأغلق حقيبته .

« أنا آسف جداً .. » قالها السيد ديفرز وهو ينصرف .

* * *

في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم ، تسلل جيري إلى حجرة نوم

جده . وكانت أشعة الشمس الغاربة تتسلل إلى داخل الحجرة ، برغم الضباب الأسود ، والدخان ، والنوافذ المتسخة . دخل بهدوء حتى وصل إلى سرير المتوفي .. وتمنى أن تنجح الأشعة الغاربة السحرية ، في أن تبعث الحياة مرة أخرى في ذلك الجسد المسجي .

ثم سمح جيري لنفسه ، أن يبكي لأول مرة منذ وفاة جده . سالت دموعه للحظة قصيرة ، بما يكفي للتعبير عن المعنى الذي يحسه « كم افتقدتك ! » . ثم توقفت . واستدار الصبي ، وخرج بعد أن أغلق باب الحجرة بعناية .

تتابع على البيت اثنان من رجال الدفن ، بنفس الوجه المتجهم والكلمات الباردة ، اتيا وانصرفا بنفس الكلمات « نحن في غاية الأسف يا سيد جرين .. فقط لو كان بامكاننا استكمال البيانات » . أخذ والد جيري يوالي اتصالاته بمؤسسات الدفن برغم فشله .. فلم يكن أمامه ما يفعله غير ذلك . وتناقص ما يتناوله من طعام ، بقدر تضاعف عدد أقراص « نوور » التي يبتلعها .

عند كل غروب ، كان جيري يتسلل إلى حجرة جده ، يسترق النظرات إلى عيون الجد التي ما زالت بادية تحت الأجفان النصف مغلقة . ألا أن بريق العينين كان يتناقص يوماً بعد يوم . وفي اليوم الثالث ، فقدت العينان كل شيء . وظهرت للجثمان رائحة .

في اليوم الخامس لوفاة الجد، وكان يوم عطلة دراسية عند جيري ، استيقظ مبكراً ، يفكر في الأحداث التي مرت بهم ، وفي الجثمان الذي يتعفن في الحجرة المجاورة فوصل إلى قرار حاسم .

بسرعة وهدوء ، اسيقظ جيري ، وارتدى ملابسه ، وأخذ يراجع بعض المعلومات ، في دائرة المعارف الخاصة به ، ثم سجل المعلومات التي يريدها على ظهر استمارة من الأستمارات العديدة التي خلفها مندوبي مؤسسات الدفن ، كانت دائرة المعارف هذه ، هدية من جده ، وكانت معلوماتها دقيقة وواضحة ، بالنسبة لصبي يبلغ التاسعة من عمره ، تغطّي كل تساؤل يعرض له . انطلق جيري بعد ذلك إلى (الجراج) باحثاً عن جاروف ، وعصاة مدرجة للقياس .

عثر جيري على بقعة في خلفية المنزل ، تصور أنها تناسب الغرض . تحت الشجرة التي تحبها أمه . بالعصاة المدرجة ، رسم مستطيلاً في التراب اليابس ، طوله متران وعرضه متر .. وبدأ الحفر .

استمر الحفر ، طوال ذلك اليوم ، واليوم التالي ، بينما والد جيري يجادل رجال الشرطة ومؤسسات الدفن ، ويتصاعد تعاطيه لأقراص « نوور » ، التي أصبحت ترد إلى البيت بانتظام في صناديق شركة الأدوية .

وفي صباح اليوم التالي ، حضر رجل ضئيل من أدارة الصحة العامة ليرى والد جيري ، وكان الرجل الذي استدعى من احدى مؤسسات الدفن ، يوشك أن يغلق حقيبته ليقول الجملة التقليدية « أنا شديد الأسف ! » .

وبعد أن شرح رجل الصحة مهمته ، سأله والد جيري متخوفاً « وهل لديك أية استمارات تحتاج إلى بيانات ؟ » . قال الرجل متحمساً « بالطبع يا سيد جرين .. ها هي ! » . وأخرج الرجل أوراقه ، وناوله واحدة منها ، وقرأ والد جيري « .. ولديكم نفايات في محيطكم ، تتضمن مخاطر على

الصحة العامة ، وعليه يجب التخلص فوراً من هذه النفايات » .

صاح السيد جرين غاضباً « لكنها ليست نفايات .. هذا أبي ! » .

أجاب الرجل صاحب الجسم الضئيل بهدوء « أنه ميت ، أليس كذلك ؟ .. وهو قد بدأ يتعفن بلا شك » .

امتقع وجه السيد جرين من فرط الغضب ، غير أن مندوب الصحة العامة لم يلاحظ ذلك ، وواصل حديثه « هل تعلم أية أمراض يمكن أن تنتشر بسبب جثة متعفنة ؟ ! كل شيء . السل . الحمى . الجدري . الطاعون ماذا أقول ؟ كل شيء تقريباً ! انها تصبح معمل تفريخ طبيعي لأسوأ الأمراض . لا .. لا يا سيد جرين أنها في نظر القانون ، مثل أي قطعة لحم أخرى متعفنة ، يجب أن تختفي فوراً لصالح الصحة العامة ، سواء كانت لها ارتباطاتها العاطفية أم لا . » .

أسقط في يد والد جيري فقال « ولكن .. ماذا يمكنني أن أفعل ؟ ! » .

قال الرجل باندهاش « أدفنه .. هل هذا غريب أيضاً ! » .

« لا استطيع .. لن يسمحوا لي .. لن تقبل أي شركة أو مؤسسة دفن أن تتسلمه .. لقد فشلت في استكمال البيانات المطلوبة في الأستمارات و .. و .. » .

قال رجل الصحة العامة بتأثر « أنا آسف جداً يا سيد جرين ، ولكن .. » .

فقاطعه رجل مؤسسة الدفن الذي لم يكن قد انصرف بعد « ألا يمكننا أن ننقله إلى مقلب النفايات العمومي ؟ لعل في هذا حل للمشكلة » .

« لا .. لا » صاح رجل الصحة العامة بصوت جاد « لا أظنهمّ يقبلونه هناك ، فكما نعلم جميعاً ، إنهم لا يقبلون المواد العضوية .. فقط الصفائح ،

والسيارات القديمة وما أشبه » صمت قليلاً ثم قال « ربما يمكن رميه في البالوعة العامة .. » ولكنه عاد ليهز رأسه نفياً « لا .. فذلك يقتضي أثبات انه من أصل برازي .. ولا أعتقد أننا نستطيع اثبات ذلك » .

نهض مندوب الصحة العامة ، وهو يهرش في رأسه قائلاً « بصراحة يا سيد جرين ، أنا سعيد لكون هذه هي مشكلتك ، وليست مشكلتي .. ولا أدري حقيقة كيف ستصل إلى حل لها » ، ثم قال بجدية وبشكل رسمي « لكن الذي أعرفه جيداً .. أنه لا يجب الأحتفاظ بالجثة هنا أكثر من ذلك .. وإذا بقيت هذه النفايات في هذا الجوار حتى يوم الأربعاء القادم ، فسنضطر إلى .. إلى .. لا أعلم بالضبط إلى ماذا .. ولكنني واثق انك لن تسعد به .. إلى اللقاء يا سيد جرين » .

وفي أعقاب رجل الصحة العامة ، اندفع مندوب مؤسسة الدفن ، يهتز رأساهما وهما يتناقشان .

* * *

في اليوم التالي ، لم يذهب جيري إلى المدرسة ، وبقي يحفر في الفناء الخلفي . لم يخبر أبويه ، وكان واضحاً أنهما في شغل شاغل عنه . إنتهى من الحفر عصراً ، فعاد إلى البيت ، واغتسل ، ثم ارتدى أفضل ثيابه ، وفي هدوء تسلل إلى حجرة جده ، وفتح الباب .

كانت الرائحة فوق احتمال البشر ، غير أن جيري مضى قدماً مغطياً أنفه بمنديله . ارتدى قناع الاكسجين ، وبدأ في سحب الجثة من فوق السرير بعناية إلى خارج الحجرة .

بعد جهد طويل استطاع جيري أن يصل بالجثة إلى موقع الحفرة التي

إنتهى من اعدادها . توقف قليلاً ليفكر ، وهبط إلى القبر . لم يكن عمق القبر كافياً ، لكن جيري كان أصغر من أن ينجز مثل ذلك العمل بشكل مثالي . من داخل الحفرة ، سحب جيري الجثمان إلى داخل القبر ، وانحنى عليه واضعاً ذراعي الجد بالطريقة التي قرأ عنها في دائرة المعارف ، بحيث يتشابكان فوق الصدر . قفز جيري خارج الحفرة ، ونظف ملابسه من التراب الذي علق بها ، واطرق صامتاً للحظات ، ثم ابتدأ بعد ذلك في ردم الحفرة لاخفاء الجثمان .

« وداعاً يا جدي .. » قالها جيري ، وثمة دمعة تتأرجح على وجنته .. ثم أخذ المعول والمقياس ، ودخل إلى البيت .

* * *

حضر مندوب الصحة العامة ، كالمتوقع يوم الأربعاء .

قال مهدداً « أرجو يا سيد جرين أن تكون قد تخلصت من النفايات التي تكلمنا عنها . والا .. فمعى هنا مذكرة من المحكمة تطالب بمثولك أمامها في الثالث من مارس لسماع الحكم عليك ، بتهمة نشر الأمراض المعدية » . وكان يرفقه الرجل عدة رجال من عمال الصحة ، يحمل كل منهم صفيحة الرشاش المطهر .

قادهم جرين دون كلام إلى حجرة الجد .. دخلوا الحجرة ، وسمع صوت الرشاش المطهر لعدة دقائق ، قبل أن يخرج مندوب الصحة قائلاً : « يا سيد جرين ، لا تعلم كم أنا سعيد لنجاحك في التخلص من المشكلة . كان المفروض أن أحمل معي الجثمان ، ولم أكن أدري ماذا سأفعل به . لا .. لا .. لا تقل لي ماذا فعلت بالجثمان ، فليس لدى أي رغبة في معرفة

ما تم ، ليقيني أنك لجأت إلى حل غير قانوني . فلم يكن أمامك أي حل قانوني . أنا فقط سعيد باختفاء الجثمان .. بمثل سعادتك أنت التي تبدو على وجهك .. نهارك سعيد يا سيدي .. هيا بنا يا أولاد » .

رفع والد جيري عينيه إلى السماء شاكراً ، ثم سقط مغشياً عليه .

وعندما عاد جيري من المدرسة ، كان ضابط الشرطة بالبيت .. وعرف الجميع تفاصيل القصة كاملة .

قال الضابط الشرطة وهو ينظر إلى والد جيري بأسف حقيقي « أنا آسف يا سيد جرين .. لقد دفن ابنك الجثمان في الفناء الخلفي .. وهذا يوجب القبض عليه .. قد يكون الأتهام الذي سيوجه إليه في حدود انشاء مدفن بدون تصريح .. لا أعرف بالتحديد .. على الأقل مخالفة التعليمات .. أنها مهمة ثقيلة على نفسي ، لكنه القانون كما تعرف .. اكرر أسفي يا سيد جرين .. أنا مضطر إلى أصطحاب جيري » .

ساد صمت كثيف .. بدده ضابط الشرطة قائلاً « على كل حال .. هناك الجانب الطيب في الموضوع .. فأننا لن نلجأ إلى استخراج جثمان الرجل من الحفرة .. لقد بحثت الموضوع ، فلم أجد لدينا أي تعليمات في هذا الصدد سنبحث عن مخرج يا سيد جرين .. هذه مسؤوليتنا نحن لا تقلق » .

وهكذا ، ذهب جيري إلى السجن .

مغامرة على كوكب الزهرة

لا أحد يتذكر ، متى بدأت القبيلة رحلتها الطويلة ، فأرض السهول المنبسطة التي كانت مقامها الدائم ، أضحت حلماً يكاد يطويه النسيان .

على مدى السنوات الطوال ، ظلّ « هان » وأفراد قبيلته ، يفرون من الأرض المنبسطة إلى التلال الخفيضة . ثم جاء الوقت الذي يتحتم عليهم فيه ، أن يفروا من هذه التلال الخفيضة ومن البحيرات المتجمدة اللامعة ، إلى الجبال العالية . كان هدفهم أن يخترقوا حاجز الجبال للوصول إلى السهول الجنوبية ، هرباً من الثلوج الزاحفة . لم يكن هناك مجالاً لأضاعة الوقت ، فالرعب الأبيض الهابط من القطبين ، يحيل القارات الضخمة بكل تضاريسها ، إلى تراب جليدي أبيض لامع . يكاد الهواء العابر فوقها أن يتجمد ... ذلك الرعب الأبيض الذي أصبح الآن على بعد مسيرة يوم واحد منهم .

تساءل « هان » وهو يقود رجاله نحو الجبل ، هل بمقدور هذه الثلاجات الزاحفة أن تتسلق الجبال أيضاً ؟ .. وفي أعماق قلبه ، التمع بريق من الأمل . لا بد أن تقف هذه الجبال عقبة في وجه الثلوج المتوحشة ، وتحيل ضرباتها هباء ، حتى يتمكن هو ورجاله من الوصول إلى الأراضي الجنوبية التي تتحدث عنها الأساطير ، والتي يمكن لهم أن يتخذوها ملاذاً .

مضت عدة أسابيع قبل أن يكتشف « هان » الممر الذي يمكن للقبيلة وحيواناتها أن تشقه صعوداً على الجبل . وعندما حل منتصف الصيف ، أمكن للقبيلة أن تنصب خيامها في السهل المهجور ، بهوائه الشفاف ، الذي يصل من خلاله بريق النجوم بحدّة لم يرها أحد من قبل .

كان الصيف شاحباً .. أخذ « هان » اثنين من ابنائه ، وسار بهما مستكشفاً الطريق . وفي صباح اليوم الرابع ، ظهر أمامهم على قمة مرتقى خفيف ، نصباً تذكارياً ، بناه رحالة آخرون ، من الحجارة الرمادية المهيبة ، منذ قرون مضت .

شعر « هان » برعشة تستولي عليه ، وهو في طريقه إلى هرم الحجارة الرمادية الصغير ... وبالقطع لم تكن رعشته بسبب برودة الجو وحدها . لقد سقط ولداه على الأرض من خلفه في خشوع .. لم تصدر عن أي منهما كلمة واحدة .. فهي مخاطرة حياة أو موت .. وبعد قليل يتقرر مصير حياتهم ، بل مصير سلالتهم كلها .

واصل « هان » صعود المرتقى ، وتطلع في رهبة من حوله ، ورأى جوانب الجبل وهي تنحني من الشرق والغرب ، وكأنها تحتضن الأرض الممتدة تحتها . ومد نظره إلى أسفل ، فرأى مساحات لانهائية من السهول المتموجة ، يخترقها نهر ضخم ، يتعرج في منحنيات هائلة .. أرض خصبة ، يمكن للقبيلة أن تجني محاصيلها ، دون حاجة إلى الهرب من جديد ، قبل أن يحل موسم الحصاد .

صعّد « هان » بصره إلى أقصى الجنوب ، فانقبضت ملامحه ، لقد رأى نهاية كل أحلامه .

فهناك ، قريباً من الأفق ، التمع الضوء المميت ، الذي طالما بهر بصره في الشمال .... التماع الثلوج الزاحفة من الجنوب أيضاً .

لم يعد هناك سبيلاً إلى التقدم ، فطوال سنوات الهرب ، كانت الثلاجات القادمة من القطب الجنوبي ، تتقدم لتلتقي بالثلاجات الزاحفة من القطب الشمالي ... وعاجلاً ما يدفن مع قبيلته تحت جبال الثلج الزاحفة من كل مكان .

لم تصل الثلاجات الجنوبية إلى الجبال - في واقع الأمر - الا بعد مرور جيل كامل .

في الصيف الأخير ، حمل ابناء « هان » كنوزهم السرية المقدسة ، إلى النصب التذكاري ، المكان الوحيد الذي لم تصله الثلوج حتى ذلك الوقت .. فالثلوج التي رآها « هان » تلتمع عند الأفق ، أصبحت الآن تحت أقدامهم .. وما أن يحل الربيع ، حتى تنكسر هذه الثلوج على سفح الجبل الأشم .

لم يكن أي منهم يفهم شيئاً عن سر هذا الكنز المقدس . لقد آل إليهم من الماضي السحيق .. وعلى مر القرون ضاع سر هذا الكنز ، وسط الضباب الذي أحاط بالعصر الذهبي للأنسان . أما كيف وصل الكنز إلى هذه القبيلة بالذات ، فهذه قصة لا يمكن لأحد أن يصل إلى تفاصيلها .. لأنها قصة الحضارة التي طواها النسيان .

ذات زمان ، حفظت هذه التذكارات القليلة لسبب وجيه ومعقول .. أمّا الآن ، وقد ضاع معناها ، فقد أضحت تراثاً مقدساً .

الكتب القديمة التي يضمها هذا الكنز ، بهتت كلماتها منذ قرون ، والحروف الظاهرة حتى الآن ، لن تجد من يفك رموزها .. لقد مضت عدّة أجيال على الزمن الذي وجد فيه من يستطيع استخدام جداول اللوغاريتمات ذات السبعة أرقام ، أو خرائط أطلس العالم ، أو مدونات « السيمفونية السابعة عشرة » للموسيقار سيبليوس ، التي قامت بطباعتها – بإذن خاص - « شركة شو شنج وأولاده » في مدينة بيكين عام ٢٣٧١ ميلادية .

قام ابناء « هان » بوضع الكتب القديمة ، في احترام شديد ، داخل السرداب الصغير المخصص لاستقبالها ، بالنصب التذكاري . ونقلوا إليه بعد ذلك مجموعة مختلطة من الأشياء ، عملات ذهبية وبلاتينية ، عدسة منظار مقرب مكسورة ، ساعة يد ، مصباح بطارية ، ميكروفون ، شفرة آلة حلاقة كهربائية ، صمامات راديو صغيرة جداً .. تلك المخلفات التي بقيت لهم من موجة الحضارة الانسانية العظيمة التي انحسرت .

كل تلك الكنوز المقدسة ، تم خزنها بعناية في مقرها الأخير ، بالاضافة إلى ثلاث تحف أثرية ، كانت أكثرها تقديساً ، لأنها كانت أشدها غموضاً .

كانت التحفة الأولى عبارة عن قطعة من المعدن ، مشّكلة بطريقة غريبة ، تظهر عليها آثار من التسخين الشديد . وكانت هذه أكثر آثار الماضي مدعاة للحزن ، لأنها تحكي قصة أعظم الأنجازات التي حققها انسان تلك الأرض ، والمستقبل العظيم الذي كان ينتظره . وقد ثبتت هذه القطعة على قاعدة من خشب الماهوجني ، عليها لوحة فضية مكتوب

فوقها :

جهاز الأشعال المساعد

للجانب الأيمن من سفينة الفضاء النفاثة

« نجم الصباح »

الأرض - القمر

١٩٨٥ ميلادية

والتحفة التالية من معجزات العالم المنقضي ، كانت عبارة عن كرة من البلاستيك الشفاف ، وقد وضعت داخلها قطع غريبة الشكل من المعدن ، وفي مركزها كبسولة دقيقة من العناصر الأشعاعية المركبة ، تحيط بها الصفائح المحوّلة ، التي تعكس اشعاعها . وقد صمم ذلك الجهاز بحيث تستمر الكرة في عملها كمحطة ارسال صغيرة ، تطلق موجاتها في كل اتجاه ، طالما بقيت المادة المشعّة في حالة نشاط . وقد تم صنع عدّة نماذج من ذلك الجهاز ، لتعمل كمنارات تحدد مسار سفن الفضاء المسافرة إلى النجوم . الاّ أن انقضاء الحضارة على الأرض ، قضي على احتمال خروج سفن الفضاء إلى النجوم ، ومن ثم استخدام هذه المنارات .

أمّا التحفة الثالثة ، فكانت عبارة عن علبة معدنية دائرية مسطحة ، مغلقة باحكام ، تصدر عند هزّها صوتاً خاصاً . وقد شاع بين ابناء القبيلة ، أن شراً شديداً سيحيق بهم ، إذا هم حاولوا فتح تلك العلبة ، والتي كانت في واقع الأمر تحوي عملاً فنياً قديماً ، انجز منذ حوالي ألف سنة .

انتهت مهمة ابناء « هان » ، فأعادوا الأحجار الرمادية إلى مكانها ، ثم هبطوا الجبل في حركات بطيئة متثاقلة . يقلقهم مصيرهم المنتظر ،

ويسعدهم أنهم رغم كل شيء ، قد استطاعوا أن يخلّفوا للمستقبل ، هذه التذكارات المقدسة التي تحكي جانباً من قصة اسلافهم .

ذلك الشتاء ، بدأت موجات الثلوج الضخمة ، أول صعودها إلى الجبال ، وكان هجومها من الشمال والجنوب في نفس الوقت . غرقت التلال في بداية الهجوم ، وأحالتها الثلاجات الضخمة الزاحفة إلى تراب ، لكن الجبال صمدت للهجوم ، وعندما حل الصيف تراجعت الثلوج بعض الشيء .

وهكذا .. شتاء بعد شتاء .. تواصلت المعركة ، وكان هدير الكتل الثلجية الضخمة عند ارتطامها بالجبل ، وطقطقة الصخور وقرقعتها ، وانفجار شظايا الثلوج ، كان ذلك كله يملأ الجو جلبة وضجيجاً ، بقسوة لم تعرفها الأرض في أي حرب من حروب الأنسان .

في النهاية .. بدأت موجات المد الجليدي في الانحسار ، والتراجع ببطء عن سفوح الجبال ، التي لم تكن في أقسى الأوقات قد غطيت تماماً بالثلوج . وبقيت الوديان والسهول والطرق ، مغطاة تماماً بالثلج . لقد وصلت الثورة الجليدية إلى نهايتها ، وعادت الثلاجات إلى هدوئها .. الآ أن هزيمتها جاءت متأخرة إلى حد بعيد .. لا فائدة منها للجنس البشري الذي كان قد انقرض عن آخره .

مرت القرون ، فحدث الشيء الذي لا بد أن يتحقق ، ولو لمرة واحدة ، في تاريخ كل كوكب من كواكب الكون .. مهما كان نائياً .. أو مهجوراً .

* * *

عندما أقبلت سفينة الفضاء من كوكب « الزهرة » ، كانت الحياة قد اختفت من فوق سطح الأرض منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . أخذت السفينة تسلط عدساتها القوية إلى الأرض ، وقد اتخذت لها مساراً على بعد أقل من ألف ميل حول الأرض . ولمدة خمسة أيام ، أخذت تدور ، بينما عدساتها تسجل كل ما بقي على سطح هذا الكوكب . وتضافرت مئات الأجهزة التي تحملها السفينة على جمع المعلومات التي ستوفر لعلماء « الزهرة » ، عدّة سنوات من العمل الجاد .

لم يكـن ضمن برنامج سفينة الفضاء ، أي تفكير في الهبوط على الكوكب . فمثل ذلك الأجراء لم تكن تبدو له أهمية ما . الاّ أن الصورة تغيرت تماماً في اليوم السادس . فالشاشات البانورامية الكبيرة ، عندمـا ضبطت أجهزتها ، كشفت عن الأشعاع الخافت الذي كان لم يزل ينبعث من المنارة المشعة التي في داخل النصب التذكاري ، فقد بقيت في الكبسولة المشعة داخل المنارة آثار من طاقتها التي تبددت على مر القرون .

قام ركاب السفينة بضبط جهاز الرؤية ، على تردد الذبذبة المنبعثة مـن المنارة ، وفي غرفة القيادة دوت أجراس التنبيه . وبعد عدّة اجراءات ، خرجت سفينة « الزهرة » من مسارها ، واتجهت إلى الأرض ، نحو سلسلة الجبال ، التي تتعالى قممها في شموخ على بحر الجليد الذي يغطي كل شيء ، وبالتحديد نحو النصب التذكاري بحجارته الرمادية ، التي هجرت لمئات الأعوام .

* * *

التمع قرص الشمس الضخم ، على سماء لم يعد يحجبها الضباب ..

فالسحب التي كانت تغطي كوكب « الزهرة » قد انقشعت الآن تماماً ، وأشعة الشمس التي خفتت لتقضي على حضارة كاملة ، أخذت تقوي وتشتد دافعة الحياة والحضارة على سطح هذا الكوكب . فمنذ أقل مـــن خمسة الآف سنة ، استطاع أهل « الزهرة » ، انصاف المتوحشين . أن يروا الشمس والنجوم لأول مرة . وكما بدأت علوم كوكب « الأرض » « بالفلك » ، حدث نفس الشيء بالنسبة لكوكب « الزهرة » ... وعلى أرض ذلك الكوكب الساخن الغني ، الذي لم تعرف مخلوقاته التطور من قبل ... بدأ زحف حضاري سريع .

لقد كان أهل الزهرة أكثر حظاً من غيرهم . فهم لم يمروا بالعصور المظلمة الطويلة التي مر بها انسان الأرض ، وظل مكبلاً بقيودها لآلاف السنين ، ذلك لأنهم لم يتبعوا نفس منحنى التطور الطويل في سلسلة العلوم الكيميائية والميكانيكية . لقد اتخذوا مساراً مباشراً إلى الطبيعية الأشعاعية . فوفروا بذلك على أنفسهم ذلك الزمن الذي انقضى بين بناء الأهرامات واطلاق المركبات الفضائية على الأرض ، وقفزوا من الحضارة الزراعية مباشرة إلى قوانين الجاذبية المضادة .. ذلك العلم الذي لم يتح لأنسان الأرض أن يعرفه .

المحيط الذي ما زال يرسم أغلب معالم ذلك الكوكب ، يواصل دفع أمواجه في فتور إلى الشاطىء الرملي .. برماله الخشنة المحببة من فرط جدتها ، والتي لم يتح للبحر الوقت الكافي لصقلها وإحالتها إلى رمال ناعمة .

تجمع العلماء ، وقد وصلت مياه المحيط إلى منتصف اجسامهم ، تلك الأجسام الجملية الشبيهة باجسام الزواحف ، والتي أخذت تلمع تحت

أشعة الشمس القوية . لقد تجمعت أكبر العقول من مختلف جزر الزهرة عند هذا الشاطىء ، لا يعلمون عن الموضوع الذي سيعرض عليهم سوى انه يدور حول « الكوكب الثالث » ، والجنس الذي عاش على سطحه قبل هجوم الثلج على ذلك الكوكب .

بقي استاذ التاريخ الكبير على الشاطىء ، فالأجهزة التي سيستعملها لا لا يجب أن يصل الماء إليها . وقد ارتفع إلى جانبه جهاز ضخم جديد ، أثار نظرات الدهشة لدى عدد من باقي العلماء . كان واضحاً أنه جهاز أبصار ، فقد توجهت مجموعة من العدسات التي يضمها الجهاز ، إلى شاشة بيضاء على بعد عشرة أمتار منه .

بدأ عالم التاريخ حديثه ، فاستعرض باختصار مدى ضآلة المعلومات المتوفرة عن « الكوكب الثالث » ، والمخلوقات التي عاشت على أرضه .

تعرض لقرون الأجداب في جهود الكشف ، التي فشلت في الوصول إلى كلمة واحدة من كتابات أهل ذلك الكوكب . وقال إن الصورة الآن قد تغيرت تماماً ، بعد الثروة العظيمة التي حصل عليها رجال سفينة الفضاء من النصب التذكاري الذي عثروا عليه في قمة جبل من جبال ذلك الكوكب .

قال عالم التاريخ لجمهوره من العلماء « نحن لا نعرف كيف وصلت حضارة على تلك الدرجة من التطور إلى نهايتها ، فالذي لا شك فيه ، أنه كانت لدى هذه الحضارة من المعارف ، ما يمكنها من الاستمرار حتى في عصر الجليد . ولا بد أنه كانت هناك بعض العوامل التي أثرت على الموقف ... والتي لا نعرف عنها شيئاً . ربما يعود السبب في ذلك إلى الأمراض

والأوبئة ، أو إلى تحلل السلالات . ويقال ، إن الصراعات القبلية التي عرفها جنسنا في أزمان ما قبل التاريخ ، ربما تكون قد استمرت بين سكان ذلك الكوكب ، حتى بعد ما وصلوا إليه من تطور تكنولوجي » .

التقط استاذ التاريخ أنفاسه ليواصل حديثه « لقد اثبت بعض فلاسفتنا ، أن المعارف الميكانيكية لا تستلزم بالضرورة درجة عالية من التحضر ، كما أنه من الممكن – نظرياً – أن تنشب الحروب ، في مجتمعات توصلت إلى طبيعة الطاقة الميكانيكية ، وعرفت أسرار الطيران ! ! . بالطبع يبدو مثل هذا الاستخلاص غريباً على تفكيرنا ، الاّ أن الواجب العلمي يقتضي منا النظر في مثل ذلك الأحتمال . لأن هذه الأفكار والنظريات ، تقدم لنا تفسيراً مقبولاً لتحلل ذلك الجنس المفقود » .

« لقد استقر الرأي بيننا أيها السادة ، على أنه هناك استحالة في الوصول إلى معرفة شيء عن المظهر الجسماني للمخلوقات التي عاشت على الكوكب الثالث . ولعدّة قرون دأب فنانونا على تصور مشاهد من تاريخ ذلك العالم الفاني ، وكانت مشاهدهم تتضمن كل اساليب التصور والخيال لكائنات ذلك الكوكب . وكانت تصوراتهم لانسان ذلك الكوكب في أغلب الأحيان قريبة من أجسامنا مع بعض التفاوت . الاّ أنه قد تأكد لنا الآن – مما قد يخدش كبرياءنا – أن الحياة الذكية المتطورة ، لا تكون بالضرورة نابعة من جنسنا .. جنس الزواحف » .

وصمت الأستاذ قليلاً قبل أن يقول « إننا نعلم الآن اجابة شافية لواحد من أصعب الأسئلة في علم التاريخ . أخيراً .. وبعد مئات السنين من البحث الدائب ، توصلنا إلى الشكل المحدد ، وإلى الطبيعية الخاصة

للكائنات التي عاشت يوماً على الكوكب الثالث » .

ارتفعت موجة اندهاش من وسط جمع العلماء ، وتضاعف انفعال بعضهم من وقع المفاجأة ، مما دفعهم إلى الغطس تحت ماء المحيط للحظات ، بهدف استعادة هدوئهم ، الأمر الذي يفعله أغلب سكان الزهرة في مواقف الأثارة الشديدة . انتظر عالم التاريخ ، حتى ظهر آخر واحد منهم من تحت الماء . أمّا هو فبرغم الأثارة العنيفة التي كانت تهزه ، فلم يكن يشعر بالرغبة في مشاركتهم ، والفضل في ذلك يعود إلى الرشاشات الدقيقة التي كانت تعمل فوق جسده بصفة مستمرة . فبواسطة هذه الرشاشات ، يستطيع أن يبقي على اليابسة لعدة ساعات متواصلة ، قبل أن يعود إلى المحيط .

بعد أن هدأت الضجة ، عاد الأستاذ ليقول « من الأشياء المحيرة التي وجدت على الكوكب الثالث ، علبة معدنية مسطحة ، تحتوي على شريط طويل من البلاستيك شبه الشفاف ، مخرّم على امتداد جانبيه ، وملفوف جيداً على شكل بكرة . هذا الشريط بدا للوهلة الأولى بلا معالم ، لكن بعد اختباره بالميكروسكوب الألكتروني ، تكشف عن شيء آخر . فعلى سطح هذه المادة ، وجدت آلاف من الصور الصغيرة ، التي قد لا تظهر لأعيننا المجردة ، لكنها تتضح تماماً تحت أضاءة خاصة . ويبدو أن هذه الصور قد جرى طباعتها على الشريط بوسائل كيميائية ، وأنها فقدت بعض تفاصيلها على مرّ السنين » .

« لأول وهلة بدت الصور وكأنها تكرار مستمر لصورة واحدة ، الا أن التتبع الدقيق كشف عن اختلافات بينها ، طفيفة للغاية . ثم اكتشفنا

بعد ذلك أن العرض المتتابع لهذه الصور يعطي أحساساً خيالياً بالحركة المستمرة . لقد تمكنا – أيها السادة – من صنع جهاز يستطيع عرض هذه الصور . وداخل الجهاز يوجد الشريط بمناظره المتتابعة » .

وبلهجة خطابية ، قال الأستاذ « إن المشاهد التي سنراها الآن ، تأخذنا آلاف السنين إلى الوراء ، إلى الأيام العظيمة لشقيقنا الكوكب الثالث . وهذه الصور ستعكس لنا حضارة مركبة عرفها ذلك الكوكب . قد يصعب علينا تفسير كثير من الحركات التي سنشاهدها الآن ، الاّ أن الذي لا شك فيه ، هـــو أن الحيـــاة على ذلك الكـوكب ، كانت غاية في العنف والحيوية المتأججة ... » .

« الواضح حتى الآن ، أن الكوكب الثالث كان مسكوناً بعدة اجناس مختلفة ، لم يكن بينها ما ينتسب إلى عائلة الزواحف . كائن ذلك الكوكب يظهر بذراعين ، ويمشي على قدمين ، وهو يسير قائماً على قدميه ، وجسمه مغطى ببعض المواد التي يمكن تغييرها ، ربما لحماية الجسم من البرد ، فحتى قبل عصر الجليد ، كانت درجة الحرارة على ذلك الوكب أقل بكثير من درجة حرارة كوكبنا .. الاّ أنني لن أثير فضولكم أكثر من هذا .. ولنشاهد معاً هذا الشريط التاريخي » .

انطلق شعاع ضوء من الجهاز ، وسمع له صوت متصل ، ثم ظهرت على الشاشة مئات المخلوقات الغريبة ، تتراقص مهتزة إلى الأمام والخلف . واقتربت الصورة من أحد هذه المخلوقات ، فتأكد العلماء من صحة الوصف الذي أجراه استاذ التاريخ . لكل من هذه المخلوقات زوج من العيون ، يقترب بعضها من بعض إلى حد كبير ، الاّ أن باقي الملامح كانت غامضة

بعض الشيء . وفي الجزء السفلي من الرأس ، كانت هناك ثغرة كبيرة ، دائمة الأنفتاح والأنغلاق ، ربما لاتصالها بعملية التنفس .

أخذ العلماء يتابعون بانبهار ، هذه المخلوجات الغريبة ، وهي تدخل مع مخلوقات أخرى تختلف عنها بعض الشيء ، في سلسلة من المغامرات الخيالية ، والصراعات القاسية . وكان من المتوقع بعد مثل ذلك القتال أن يفني طرفاه ، الاّ أن العجيب في الموضوع ، أن تلك الكائنات ، كانت تخرج من ذلك القتال معافاة بلا أي أضرار .

شعر أغلب العلماء بالدوار عندما أوشك الشريط على الأنتهاء . كانت هناك حركات ختامية عاصفة ، دخل فيها المخلوق الذي كان مركز الأهتمام في كوارث هائلة غير مفهومة ، وانكمشت الصورة بعد ذلك ، لتتركز في دائرة ،يظهر داخلها وجه ذلك المخلوق . لم يكن من السهل التعرف على طبيعة التعبير الذي يعكسه ذلك الوجه .. هل هو الغضب ، أم التحدي ، أم الأستسلام .. أختفت الصورة ، وظهرت على الشاشة بعض الكتابات .. وانتهى كل شيء .

على مدى عدّة دقائق ، عمّ الصمت ، ولم يكن يسمع سوى صوت الأمواج التي تتكسر على الرمال . كان العلماء في حالة من الذهول لا تسمح لهم بالكلام . فهذه النظرات المختلسة إلى حضارة الكوكب الثالث ، كان لها تأثير السحر على عقولهم . ثم بدأت بعد ذلك بعض المجموعات في تبادل الهمسات ، التي تصاعدت شيئاً فشيئاً كلما تبدت لهم أهمية ما شاهدوه . وصاح عالم التاريخ قائلاً :

« إننا نخطط الآن برنامجاً واسعاً للبحث والدراسة ، لاستخلاص كل

المعلومات الممكنة من هذا التسجيل ، فقد تم طبع آلاف النسخ منه لتوزيعها على جميع الباحثين .. نريد أن نصل إلى مزيد من الوضوح حول هذا الموضوع .. وأمام رجال علم النفس بصفة خاصة واجباً ضخماً .. قد لا نصل إلى النتائج المرضية خلال جيل واحد .. لكننا مطالبون بالعمل الجاد .. وقبل أن ننصرف ، دعونا نلقي نظرة أخيرة على أبناء عمومتنا ، الذين قد تكون حكمتهم فاقت حكمتنا ، وأن كان ما بقي من حكمتهم قد أضحي قليلاً » .

وللمرة الثانية ، تم تشغيل الجهاز ، وفي هذه المرّة عرضت صورة ثابتة غير متحركة ، للمخلوق الذي كان محور المغامرات في الشريط .

* * *

ذلك الكائن ، الذي اعتبر ممثلاً للجنس البشري ، والذي عاش على الأرض ، خضع لدراسة واسعة ، من علماء النفس في كوكب « الزهرة » ، يحللون حركاته ، ويراجعون ايماءاته ، بهدف تكوين فكرة عن دوافعه ، وأسس سلوكه .. فظهرت آلاف الكتب النفسية والفلسفية حول نتائج بحوث العلماء .

الا أن كل تلك الجهود ، ضاعت هباء ، وبقي سر ذلك الكائن غامضاً ، لا يصل إلى عالم أهل كوكب « الزهرة » ... وسيبقى هكذا ، طالما أنهم لم يصلوا إلى فك رموز الكتابات التي تظهر في آخر الشريط .. والتي أعادوا عرضها آلاف المرات دون أن يصلوا إلى فهم مغزاها ... هذه الكلمات التي تقول :

ميكي ماوس ــ فيلم من انتاج والت ديزني

خدمة ممتازة

نظرت كلير بمزيج من الفزع والرعب من خلال فتحة الباب الضيقة .. نظرت إلى توني الذي كان يقف داخل الحجرة بقامته الطويلة ، وملابسه الداكنة الأنيقة ، ومظهره النبيل الذي تعكسه تعبيرات وجهه الثابتة ، ثم صاحت ، « لا استطيع أن أبقى معه تحت سقف واحد .. » .

أخذ لاري بلمونت ينظر إلى زوجته بحدّة ، وقد عكست ملامحه معاني نفاذ الصبر والضيق ، تلك المعاني التي كانت كلير تكرهها ، نظراً لأنها تؤكد احساسها بالعجز . قال لاري بحسم : « لم يعد هناك أي مجال للتراجع .. ستوفدني الشركة إلى واشنطن على هذا الأساس ، وهذا يعني حصولي على الترقية التي أسعى إليها .. وأنت تعلمين جيداً أن وجوده معك في البيت لن يسبب لك أي ضرر أو أذى .. فلماذا الأعتراض الآن ؟ .. » .

همهمت كلير وقد انقبضت ملامحها « إن مجرد وجوده يبعث الرعشة في جسدي .. » فقال لاري « إنه إنساني .. هيا معي إليهم » . وضع لاري كفه خلف ظهرها وقادها لتجد نفسها وسط غرفة الأستقبال في بيتها ، تسودها الرجفة من أعلاها إلى أسفلها .. كان يقف هناك .. ينظر إليها بأدب واضح .. إلى تلك التي ستكون مضيفته على مدى الأسابيع الثلاثة التالية . كانت الدكتورة سوزان كالفن في الحجرة أيضاً تجلس منقبضة

وقد ضمت شفتيها الرفيعتين ، كانت تبدو عليها تلك النظرة الباردة الغائبة التي يتميز بها أولئك الذين طال تعاملهم مع الآلات ، حتى ليبدو أن جانباً من معدن هذه الآلات قد تسرب إلى دمائهم .

« أهلاً .. » قالتها كلير للموجودين بشكل عام ، وبمرح مفتعل . قال لاري « أريدك يا كلير أن تلتقي بتوني الفتى الأنيق .. هذه هي زوجتي كلير يا توني .. » ، ثم مد لاري يده بألفة لتستقر فوق كتف توني ، وإن كان توني قد بقي على تحفظه .. بلا تعبير يعكس احساسه بهذا الموقف . قال توني «كيف حالك يا سيدتي ؟ .. » قفزت كلير في مكانها لدى سماعها صوت توني ، كان صوته عميقاً ، عذباً ، في مثل نعومة الشعر الذي على رأسه ، ودون أن تدري صاحت « يا الهي .. انه يتكلم ! » قال توني بصوت هادىء « لماذا لا ؟ .. هل كنت تتوقعين أن أكون أبكماً ؟ ! .. » . وكان رد فعل كلير لا يزيد عن ابتسامة ضعيفة . وبطرف عينها أخذت تتأمله ، وأخرجها من تأملها هذا ، صوت الدكتورة كالفن المسطّح الخالي من أيّ عاطفة وهي تقول « أتمنى أن تقدري أهمية هذه التجربة يا سيدتي .. لقد قال زوجك أنه شرح لك الموضوع ، وأريد الآن أن أعطي مزيداً من المعلومات ، بإعتباري رئيسة القسم النفسي بإتحاد صناعة الإنسان الآلي لعموم الولايات المتحدة » .

ونظرت إلى كلير ثم قالت مستطردة « توني عبارة عن إنسان آلي .. أسمه الحقيقي في ملفات الشركة ت ن ٣ ، لكنه سيستجيب إذا ما ناديتيه باسم توني . انه ليس وحشاً آلياً ، كما أنه ليس آلة حاسبة من ذلك النوع الذي كان ينتشر أثناء الحرب العالمية الثانية .. منذ خمسين

عاماً . ان لديه عقلاً اصطناعياً ، يقارب عقولنا من حيث درجة تعقيدة .. مع لوحة تجميع تيلفونية ضخمة على المستوى اللدري .. وهكذا ، يمكن لهذا العقل أن يتعامل مع ملايين الأعمال والتوجيهات التي تزدحم بهـــا جمجمته .. » .

« حتى الآن اعتدنا أن نعتمد على الأنسان الآلي في الأعمال الصعبة ، أو المستحيلة بالنسبة للبشر ، في أعماق المناجم ، أو الأعمال التي تجري في قاع المحيط .. لكننا اليوم نريد أن نغزو المدن والبيوت .. نريد أن يعتاد الناس البسطاء وجود الإنسان الآلي في حياتهم اليومية دون خوف .. ونحن نلتزم في هذا بما يسمى بالقانون الأول للإنسان الآلي ، وهو يقول : الإنسان الآلي لا يجب أن يتسبب في الأضرار بآدمي ، أويفعل ما يدفع الآدمي إلى الحاق الضرر بنفسه .. جميع ما نصنعه يخضع لهذا القانون .. وكما ترين يا سيدتي ، نريد أن تشتركي مع توني في تجربة مبدئية ، لصالح عملنا العلمي . وفي أثناء سفر زوجك إلى واشنطن للانتهاء من الاجراءات القانونية الحكومية ، تمهيداً لاعتماد هذا الانسان الآلي وتعميمه .. » .

صاحت كلير بقلق « هل يعني هـذا ، أن كل ما تفعلونه ليس قانونياً ؟ ! » .

سعل لاري بعصبية وهو يقول « ليس بعد .. ولكن هذا سيتم قريباً .. على أي حال لن يترك توني البيت ، ولا يجب أن تسمحي لأحد بأن يراه .. كنت أود أن أكون معك أثناء هذه التجربة .. لكن الأمر يحتاج إلى شخص ليست لديه أية خبرات عن الأنسان الآلي .. » .

قالت دكتورة كالفن وهي تهم بالأنصراف « هذا الإنسان الآلي

متخصص يا سيدتي في الأعمال المنزلية .. » . قاد لاري دكتورة كالفن إلى الباب الخارجي ، بينما بقيت كلير في حجرة الأستقبال تتطلع إلى نفسها في المرآة ، لكنها سرعان ما أشاحت بوجهها بعيداً عن المرآة .. لقد ضاقت بهذا الوجه الصغير والفم الكبير والشعر المعتم .. هنا ، لاحظت أن نظرات توني مسلطة عليها ، فابتسمت ابتسامة مجاملة ، قبل أن تتذكر أنه مجرد .. آلة ! ..

* * *

كان لاري يستعد لرحلته إلى المطار ، عندما لمح جارته السيدة جلاديس كلافري .. كانت جلاديس من اللائي يجب ألا يتجاوز النظر إليهن حدّ النظرة الخاطفة .. كل شيء فيها مرسوم بدقة وعناية ، ترتدي عن الملابس ما يكشف عن ذروة الذوق والمهارة .. كانت على درجة من الأناقة ، لا تحتمل أكثر من النظرة الخاطفة ، الإبتسامة الجذابة على وجهها ، والعطر الذي يترك أثاره في أعقابها ، كان ذلك كله بمثابة الأصابع التي تشير إليك بالاقتراب .. لكن لاري تجاوز هذا النداء .. ودون أن يتوقف حيّاها بلمسة لقبعته ، ثم أسرع مبتعداً ..

كان دائماً يشعر بذلك النوع من الغضب الغامض .. لو أن كلير استطاعت أن تدخل في زمرة جلاديس لاستفادت كثيراً .. لكن ، ما فائدة هذه الأفكار ؟ ! .. أن كلير في المرات القليلة التي التقت فيها بجلاديس كانت تبدو كالحمقاء معقودة اللسان .. لا .. لا يجب أن يجري وراء هذه الأفكار . أن فرصة عمله الكبرى الآن تتركز في الاختبارات التي تجري لتوني .. وهذه الفرصة ترقد الآن بين يدى كلير .. لكنه عاد

ليقول لنفسه .. هذه التجربة كانت تتسم بشكل أكمل لو أنها كانت بين يدي واحدة مثل جلاديس كلافري ! .

* * *

استيقظت كلير في صباح اليوم التالي على طرقات فوق باب حجرة نومها . فجمدت في مكانها . لقد حرصت على تجنّب توني في يومها الأول . كانت تكتفي بابتسامة مجاملة عندما كانت تلتقي به . رفعت صوتها قائلة « أهذا هو أنت .. يا توني ؟ » ، فسمعت صوته يقول « نعم يا سيدتي .. هل تسمحين لي بالدخول ؟ .. » قبل إن تقول نعم أو لا ، كان توني يتقدم إلى داخل الحجرة في هدوء ، وقد وصلت إلى أنفها رائحة الطعام الذي أتى به فوق الصينية التي يحملها بين يديه . سألت باندهاش « الأفطار ؟ ! .. » . أجاب بأدب « إذا سمحت سيدتي .. » .

جلست كلير فوق سريرها ، لتتلقى صينية الأفطار .. البيض المسلوق .. شرائح الخبز المقدد وعليها الزبد .. وأخيراً القهوة . قال توني « لم أمزج القهوة باللبن ، ورأيت أن كلاً منها على حدة .. هذا إلى حين أن أعرف رغبات سيدتي في ذلك ، وفي غيرة من الأمور» .

* * *

بقيت كلير في جلستها ، لا تمد يدها إلى الأفطار ، بينما كان توني يقف مكانه كالحارس . ثم قال بعد لحظة « هل ترغب سيدتي في تناول افطارها منفردة ؟ .. » اجابت كلير « نعم ... أعني إذا لم يكن في هذا ما يضايقك » . قبل أن ينصرف توني قال لها « هل ستحتاج سيدتي ، لمساعدتها

في ارتداء ملابسها ؟ .. » ذعرت كلير ، وجذبت غطاء السرير إلى كتفيها ، حتى كاد إناء القهوة أن ينقلب على الفراش وصاحت « لا .. لا شكراً » . ولم تهدأ إلا عندما أغلق توني الباب خلفه .

ومع هذا فقد استمتعت كلير بإفطارها ، وهي تردد لنفسها .. انّه مجرد آله .. فقط لو أن جانباً من الآلات الّتي بداخله كان ظاهراً . لكان هذا أبعث على الأطمئنان الكامل ..

* * *

شقّت كلير طريقها بسرعة من حجرة النوم إلى المطبخ ، بعد أن انتهت من إرتداء ملابسها . انه على أي حال بيتها هي ، ومن حقها أن تتفقد حال مطبخها .. ما أن دخلت المطبخ حتى وقفت مكانها تحملق حولها .. كان كل ما حولها يبرق ويلمع وكأنه قد وصل لتوه من المصنع .. وعندما استدارت لتنصرف ، كادت أن تصطدم بتوني ، فشهقت .. سأل توني « هل يمكنني أن أساعد في شيء ؟ » .

صاحت كلير وهي تحاول أن تخفي ذعرها بإصطناع الغضب « توني .. يجب أن تصدر صوتاً عندما تدخل إلى مكان ما .. إنك تفزعني ! .. » ثم تطلّعت حولها وهي تقول « عظيم جداً .. هذا عمل كامل .. » .

لو أن قسماته قد تحركت .. لو انه ابتسم .. لو انه حرك جانباً من فمه حركة خفيفة ، لكانت أحست بعاطفة نحوه . لكنه بقي منتصباً في مكانه كلورد انجليزي وهو يقول « شكراً يا سيدتي .. هل تتكرمين بالمجيء إلى حجرة الأستقبال ؟ » . تبعته دون أن تتكلم ، ثم وقفت في مكانها مذهولة « هل قمت بتلميع الأثاث ؟ ! » . فقال « ألا يعجبك عملي يا

سيدتي ؟ » . لكنهاعادت لتسأل « ولكن متى ؟ » أجاب « ليلة أمس .. » فسألت « أتعني انك أضأت الأنوار وظللت تعمل طوال الليل ؟ ! » . قال بهدوء « لم يكن هذا ضرورياً .. لقد استخدمت الأشعة فوق البنفسجية من أحد مصادرها بداخلي .. أنا أرى ضوء هذه الأشعة .. وبالطبع لا أحتاج إلى النوم » .

لم تقل شيئاً ، وأخذت تفكر ، انّه يستحق التقدير والتشجيع ، لكنها وسط دهشتها لم تستطع سوى أن تقول « انك وأمثالك ستنهون عمل البشر في البيوت .. » ، قال توني بلهجة تقريرية « هناك من الأعمال ما هو أكثر أهمية ، يتفرغ له البشر عندما يتحررون من هذه الأعمال . صناعة إنسان آلي مثلي أمر ممكن ، لكن من المستحيل تقليد الخلق والإبداع وتنوع المواهب الذي يتميز به العقل البشري .. مثل عقلك يا سيدتي .. » .

ورغم أن تعبيراً ما لم يظهر على وجهه ، فقد إكتسى صوته بذلك الدفء الذي يكشف عن إعجابه وولائه ، مما جعل وجه كلير يحمّر وهي تتمتم « عقلي أنا ! .. يمكنك أن تأخذه لو أردت .. » . إقترب توني قليلاً وهو يقول « قولك هذا يؤكد أنك لا تشعرين بالسعادة .. هل هناك ما يمكن أن أقوم به ؟ » . قالت مندفعة وقد نسيت نفسها « زوجي السيد بلمونت لا ينظر لي على أنني أمتلك عقلاً .. وإذا أردت الحقيقة أنا أعتقد أيضاً أنني لا أتميز بعقل راجح » . لم يكن في مقدورها أن تبكي أمامه ! .. لقد أحست ، لأسباب لا تدريها ، أن عليها مسئولية أمام الجنس البشري .. مسئولية التماسك أمام هذا المخلوق المصنوع .

تماسكت كلير ، ثم قالت مستدركة « لقد حدث هذا مؤخراً .. أما

عندما كنا طلبة معاً ، فقد كان كل شيء على ما يرام .. لقد كنت أروقه عندما كان في بداية طريق الحياة .. لكني لا أصلح زوجه لرجل عظيم . لقد وضع لاري قدميه على طريق المجد والعظمة .. انه يريدني أن أصبح مضيفة مثالية ، بحيث أفتح له أبواب الحياة الأجتماعية .. مثل .. جـ .. جـ .. جلاديس كلافري ! » .

إحمر أنفها ، وكانت نظراتها تنطلق إلى بعيد ، بعيد ، لكن توني لم يكن يراقبها .. كان ينظر حوله إلى معالم الحجرة التي يقف وسطها ثم قال « يمكنني مساعدتك في تجديد البيت » ، فقالت غاضبة ، « لا فائدة من ذلك .. انه يحتاج إلى لمسة ذوق لا تتوفر عندي .. أستطيع فقط أن أجعله بيتاً مريحاً ، لكنني لا أستطيع أن أجعل منه بيتاً مثالياً في ذوقه وجماله .. كتلك التي تظهر في مجلة البيت الجميل .. » .

سأل توني « هل ترغبين حقاً في أن يصبح بيتك مثل تلك البيوت ؟ » . أجابت يائسة « وما فائدة رغبتي ؟ » . قال توني وعيناه مثبتتان عليها« يمكنني أن أساعدك .. » . فسألت « هل تعرف شيئاً عن فن التأثيث الداخلي ؟ .. » . فأجاب على سؤالها بآخر « وهل هذا يدخل ضمن ما يجب أن تعرفه ربة البيت المثالية ؟ » . قالت « طبعاً .. » . فقال « إذاً في تصميمي ما يسمح بتعلمه .. هل يمكن أن توفري لك بعض الكتب حول هذا الموضوع ؟ » ... وهكذا مضت الأمور ..

* * *

كانت كلير تمسك بإحدى يديها قبعتها التي يكاد الريح أن يطيح بها ، بينما تمسك بيديها الأخرى مجلدين ضخمين عن فنون البيت ، استعارتهما

من المكتبة العامة . وعندما عادت إلى البيت أخذت تراقب توني وهو يفتح أحد المجلدين ، ويقلب صفحاته بسرعة شديدة .. كانت هذه هي المرة الأولى التي تراقب فيها حركة أصابعه المتقنة .. وبدافع مفاجيء ، مدت يدها وتناولت كفه تتحسس أصابعه وتمتحنها . لم يقاوم توني ، وترك يده مسترخية بين يديها . قالت « إنه شيء ملفت .. حتى أظافرك تبدو طبيعية .. » . فقال بلهجة تقريرية « هذا أمر مقصود بالطبع ، الجلد عبارة عن نوع مطاطي من البلاستيك .. أما الهيكل الداخلي فمن سبيكة معدنية خفيفة .. هل تجدين تسلية في هذا ؟ » .

رفعت رأسها ، فبدا وجهها متورّداً وقالت « أوه .. لا .. لقد أصابني بعض الأرتباك .. لأحساسي بأنني أتطفل على ما بداخلك . ليس هذا من شأني ، فأنت لا تتطفل على ما بداخلي .. » . قال « ذلك لأن قنوات عقلي لا تتضمن أي نوع من الفضول .. أني ، كما لا ريب تعلمين ، اتصرف في حدودي فقط .. » .

أحست كلير بإنقباض يشملها أثناء الصمت الذي أعقب ذلك .. لماذا تنسى دائماً انه مجرد آلة ؟ ! . هل بلغ بها إفتقاد الحنان ان تبحث عنه لدى هذا الإنسان الآلي ؟ ! .

لاحظت أن توني ما زال يواصل تقليب الصفحات بسرعة ، دون أن يبدو عليه أنّه يفهم ما ينظر إليه ، فأنبثق داخلها شعور بالتفوق وهي تسأل « أنت لا تستطيع القراءة .. أليس كذلك ؟ » . تطلع إليها توني وقال بصوت هادىء لا يحمل أي تعاطف « أنا أقرأ الآن يا سيدتي .. » قالت وهي تشير بإصبعها إشارة لا تحمل معنى « ولكن .. » . فقال « أنا الآن التقط صوراً

للصفحات ، إذا كان هذا ما تسألين عنه .. فذاكرتي فوتوغرافية » .

كان الوقت مساء ، ذهبت كلير لتنام ، بينما توني ما زال يقلب صفحات المجلد الثاني ، جالساً في الظلام ، أو ما بدا ظلاماً في نظر كلير . وقبل أن تغرق في النوم ، كان آخر ما تذكرته هو يدي توني .. لمسة يده .. كانت دافئة رخصة .. كأيدي البشر ! .

أمضى توني أيامه التالية ، يتصفح عدداً من المجلات والكتب عن توافق الألوان ومواد التجميل ، والنجارة ، والزخرفة الداخلية ، والفن وتاريخ الأزياء . وقبل نهاية الأسبوع بدأ نشاطه . إنصب هذا النشاط في أول الأمر على كلير شخصياً .. طريقة قص شعرها وتصفيفه . نوع المساحيق التي تستخدمها وطريقة رسم حاجبيها . كانت تجلس ساكنة رغم اضطراب أعصابها للمسات أصابعه الأصطناعية ، وهو يجملها أمام المرآة . أخيراً ، قال توني « بقي الكثير الذي يمكن أن نفعله فيما يتعلق بالملابس .. ولكن ، ما رأيك فيما تمّ كبداية ؟ » .

لم تجب .. كانت تتأمل صورتها الجملية على صفحة المرآة .. صورتها الغريبة عليها بعد كل التعديلات التي أدخلها توني على شكلها ، ثم تمتمت « ممتاز .. ممتاز .. يا توني ! .. » . وفي خطابها إلى زوجها لاري ، لم تذكر كلير شيئاً عن هذا .. كانت تريد أن تعد له مفاجأة شاملة .. وإن كانت تشعر في أعماقها أن هدفها لم يكن يقف عند حدود المفاجأة .. كانت تشعر بنوع من الرغبة في الأنتقام .

* * *

قال توني ذات صباح « لقد حان الوقت للقيام بالمشتروات ، وكما

تعلمين أنا غير مسموح لي بمغادرة البيت ، إذا كتبت لك قوائماً دقيقة بإحتياجاتنا ، هل يمكن أن تتولي الشراء ؟ .. نريد ستائر ، وأقمشة جديدة لكساء الأثاث ، وورق حائط ، وطلاء ، وبعض الملابس الخاصة بك .. ثم عدة أشياء صغيرة أخرى » ، فقالت « ولكن من أين لي بالنقود اللازمة لشراء هذا كله ؟ » . أجاب « يمكنك المرور أولاً على الدكتورة كالفن بإتحاد صناعة الإنسان الآلي ، وتطلبين المال اللازم لشراء هذه الأشياء التي تدخل في صميم التجربة التي نقوم بها .. سأكتب لك ورقة بذلك .. » .

عندما دخلت كلير على الدكتورة كالفن في مكتبها لم تشعر نحوها بنفس ما أحست به من ضيق في اللقاء الأول . لقد تبدلت شخصية كلير ، بملابسها الجديدة ، وطريقتها الجديدة في التزيّن . أصغت بإنتباه إلى حديث العالمة النفسية ، وبعد أن أجابت على بعض الأسئلة ، وجدت نفسها تغادر المبنى تحمل شيكاً بالمبلغ المطلوب .

كم كان عجيباً سحر هذا المال .. لقد فتح أمامها أبواب أكبر المتاجر . وفي أحد المتاجر الراقية طلب منها البائع المتعالي مزيداً من التفاصيل حول النسيج الذي طلبته . اتجهت إلى التليفون وطلبت رقم منزلها ، ومدت السماعة للبائع وهي تقول « يمكنك أن تسأل عن كافة التفاصيل .. من سكرتيري .. » . بوقار شديد مد الرجل يده وتناول السماعة في رشاقة وقال « نعم .. » ، وفترة صمت ثم « نعم .. » وفترة صمت أطول ثم بصوت يعكس تقديره لصاحب الصوت قال « نعم يا سيدي .. » . ووضع السماعة وهو يقول « إذا سمحت سيدتي .. فلتتفضل لأقدم إليها كل ما تطلبه .. » .

قالت كلير « لحظة من فضلك .. » ، وعادت إلى التليفون تطلب رقم منزلها ثم قالت « هالو توني .. لا أعرف ما قلته في التليفون .. لكن كلامك كان له مفعول السحر .. أنت يا توني .. » ، وتلعثمت قليلاً قبل أن تقول له بإندفاع « أنت عزيز جداً » .

عندما استدارت بعد وضع السماعة ، كانت جلاديس كلافري تقف خلفها ، يبدو عليها الأستمتاع الذي يغلب عليه الإندهاش ، وهي تتطلع إلى كلير . وأمالت رأسها إلى جانب وهي تقول بلهجة مستفسرة « لم أكن أعلم أنك تبتاعين حاجياتك من هذا المتجر .. » ، وكأن هذا المتجر الراقي قد فقد جانباً من مكانته الراقية بدخول كلير إليه . أجابت كلير بتواضع « بالفعل .. لا أشتري منه عادة .. » . ولكن جلاديس واصلت الحديث قبل أن تنصرف كلير ، فقالت « يخيّل إلى أنك أجريت تعديلاً في طريقة تصفيف شعرك .. كم هو جميل هكذا .. ولكن ، أرجو أن تتجاوزي عن فضولي .. أليس أسم زوجك هو لاري ؟ .. » . اصطكت أسنان كلير ، لكنها أحست بضرورة تقديم تفسير فقالت « توني صديق لزوجي .. وهو يساعدني في اختيار بعض المشتروات .. » فقالت جلاديس وعلى فمها ابتسامة تحمل دفء العالم « مفهوم .. كم هو عزيز فعلاً ! ! .. » .

* * *

«كنت حمقاء تماماً .. » ، قالتها كلير وهي تبكي أمام توني ، « إنها تفعل هذا معي دائماً .. لا أدري لماذا ؟ كان الأفضل أن أضربها أو أركلها .. كان الأفضل أن أطرحها أرضاً والقي بنفسي فوقها » .. فسأل توني « هل يمكن لإنسان أن يكره انساناً آخراً بهذا القدر ؟ .. هذا الجانب من

التصرف البشري لا أفهمه » ، فقالت « جلاديس ليست جوهر المشكلة .. أنه أنا .. جلاديس هي كل ما أتمناه لنفسي ، على الأقل من الخارج . لا فائدة لقد فشلت في هذا .. » . جاء صوت توني خافتاً وقوياً « يمكنك تحقيق ذلك يا سيدتي .. ما زال أمامنا عشرة أيام .. سيتحول بعدها البيت إلى شيء آخر .. » ، فتساءلت « وما علاقة هذا بمشكلتي التي اتكلم عنها .. كيف سيكون في هذا حل لمشكلتي ؟ ! » .

قال توني بثقة « وجّهي إليها الدعوة ، هنا في بيتك .. وجّهيها لكل أصدقائها .. وليكن هذا في الليلة السابقة لرحيلي .. سيكون الحفل بمثابة افتتاح رسمي للتجديدات التي نقوم بها .. قالت يائسة « جلاديس لن تجيء ! .. »، فقاطعها قائلاً « بل ستجيء .. ستجيء لتسخر منك .. لكنها لن تنجح في هذا .. » . فكرت كلير بعمق ثم قالت « هل تؤمن بهذا ؟ .. أوه يا توني ، هل سأنجح ؟ .. » . كانت في ذلك الوقت تمسك بيديه بين يديها ، وهي تشيح بوجهها بعيداً ، فقالت « لكن ما فائدة هذا ؟ . لن أكون أنا التي انتصرت .. ستكون أنت الذي فعل كل شيء .. لا .. لا يمكنني أن أبني نجاحي واقفة فوق أكتافك ! » .. قال توني هامساً « لا أحد يعيش بمفرده .. لقد زودوني بهذه المعلومة .. ما ترينه في جلاديس كلافري ، أو ما يراه الناس فيها ، ليس هو بالضبط جلاديس كلافري .. إنها تقف فوق ما لديها من مال ، وما تتمتع به من وضع اجتماعي ... أنت رقيقة صدوقة ، لا تفرضي نفسك ، أما السيدة كلافري ، فهي بناء على على أقوالك لا تبدو كذلك .. لا أتصور نفسي أطيعها بنفس الطريقة التي أطيعك بها .. أنه أنت من يفعل كل شيء يا سيدتي .. ولست أنا .. » .

سحب يده من يديها ، فتطلعت متعجبة لوجهه الذي لا يحمل تعبيراً .. وأحست فجأة بالخوف من جديد .. لكن خوفها الجديد لا يشبه خوفها السابق منه . واندفعت مسرعة إلى الحمام ، تضغط على أصابع كفيها المتشابكة .. دون أن تنجح في التخلص من الشعور بالدغدغة التي تركتها أصابعه في كفيها .

* * *

صباح اليوم التالي ، احست ناحيته بشيء من الخجل وهي تتابعه عن قرب .. في انتظار ما يمكن أن يحدث بينهما .. ولفترة طويلة ، لم يحدث شيء ! ..

كان توني منهمكاً في العمل ، بمهارة لا توحي بأنه يواجه أية مشكلة أو يبذل جهداً .. ظل يعمل طوال الليل ، لكنها لم تكن تسمع لعمله صوتاً .. وفي كل صباح كان تلمس العمل الضخم الذي أنجزه . حاولت أن تساعده ذات مرة ، لكن غلاظة أدائها البشري ، جعلتها تتوقف عن المحاولة . كان توني في الحجرة المجاورة ، فحاولت أن تعلق أحدى الصور في الموقع الذي حدّده لها توني بعملياته الحسابية .. كانت العلامة واضحة ، والصورة بين يديها ، وفي داخلها رغبة شديدة في تخطي حواجز العجز ، والثورة عليها .

لكنها كانت عصبية ، أو أن السلّم لم يكن مستقـراً ، ليس هذا هـو المهم .. الذي حدث أنها وجدت السلم يتداعى من تحتها ، فصرخت . وفي سرعة تتجاوز سرعة البشر ، كان توني يقف إلى جانبها يتلقف جسدها بين ذراعيه قبل أن تسقط .. لم تقل عيناه الداكنتان شيئاً لكنه سأل بصوته

الدافئ « هل أصابك سوء يا سيدتي ؟ .. » . لاحظت بنظرة خاطفة أن يدها وهي تسقط قد أطاحت بخصلة من شعره المصفوف ، وتبينت للمرة الأولى أن شعره يتكون من شعرات خفيفة منظمة إلى جوار بعضها .. شعر أسود جميل ..

وهنا .. أحست فجأة بذراعيه حول كتفها وتحت ركبتها ، يحتضناها بقوة ودفء . دفعته وهي تبتعد ، وصدى صيحتها يتردد عالياً في أذنيها .. وأمضت بقية اليوم في حجرتها .. ثم نامت بعد أن وضعت مقعداً مقلوباً تحت مقبض باب الحجرة ، يمنع فتحه من الخارج !

* * *

أرسلت كلير الدعوات للحفلة التي ستقيمها في بيتها .. وكما توقع توني ، قبل الجميع الدعوة . وعندما حلت الأمسية المنشودة ، كانت معالم البيت قد تغيرت .. قبل موعد الحفل أخذت تتجول في البيت للمرة الأخيرة ، تتطلع إلى التغيرات التي دخلت على كل حجرة من حجراته .. هي نفسها قد تغيرت .. لقد كانت ترتدي من الملابس ما لم تكن تجروء من قبل على ارتدائه . تساءلت .. ماذا سيقول لاري عند عودته ؟ .. لكن هذا لم يكن يهمها حالياً .. فأيام حياتها المثيرة لم تحدث مع لاري .. بل حدثت مع توني ! أليس هذا غريباً ؟ !

* * *

دقت الساعة الثامنة ، وتصاعد إنفعالها وهي تقول لتوني « سيبدأ توافدهم بعد قليل . يحسن أن تمضي إلى المطبخ ، فلا أعتقد أنه من المناسب أن .. » ، وتلعثمت للحظة ، ثم قالت بصوت ضعيف يفيض حرارة

« توني ! .. » ثم بصوت أعلى « توني ! ... » ثم في صوت أقرب إلى الصراخ « توني ! » .

كانت ذراعاه تحوطانها ، ووجهه قريباً من وجهها . وضغط أحضانه لا يقاوم ، ثم وصل إليها صوته من وسط ضباب مشاعرها المختلطة « كلير .. هناك أشياء عديدة لم أصنع لإدراكها .. ولا بد أن ما يجري بيننا واحد من هذه الأشياء ، سأترك البيت غداً ، لكني لا أرغب في هذا ، أشعر داخلي بما هو أكثر من مجرد الرغبة في أرضائك .. أليس هذا غريباً ؟ ! » .

أصبح وجهه أكثر اقتراباً ، وكانت شفتاه دافئتين ، لكن بدون أنفاس تتردد بينهما .. اقتربت الشفتان حتى كادتا تلامسان شفتيها .. ثم رن جرس الباب .. جاهدت أن تنفلت من أحضانه .. فوجدته يفلتها ويختفي سريعاً من أمامها .. كان جرس الباب ما زال يرن بإلحاح .. وكان الستار المسدل على زجاج الباب من الداخل مزاحاً من مكانه ! . لقد كانت واثقة من أن الستار كان مسدلاً منذ ربع ساعة فقط ! .. لا بد أن الضيوف قد شاهدوها بين أحضان توني ! ! ..

* * *

دخلوا البيت جميعاً دفعة واحدة ، وعيونهم الحادة الثاقبة ترشق جوانب المكان .. لا بد أنهم رأوها مع توني .. ماذا يا ترى ستقول جلاديس عن هذا ؟ ، وأحست انها تسقط في حالة من اليأس والتداعي ..

نعم انه ليس هنا .. مسافر في مهمة تتصل بعمله وسيعود غداً على الأغلب .. لا ، لم أكن وحيدة طوال غيابه .. لقد استمتعت بوقتي .. هكذا جاءت اجابتها على اسئلة الضيوف بينما ضحكاتها تتردد عالية .. لماذا لا ؟ .

ما الذي يمكن أن يفعلوه أو يقولوه لزوجي ؟ ! .. لاري يعرف الحقيقة .. وهي واثقة أنه سيضحك منهم ، إذا ما نقلوا إليه قصة ما شاهدوه عند دخولهم ..

لكن جلاديس لم تكن تضحك لضحك كلير .. ومن خلال كلماتها المذوقة الزائفة ، ظهر الغضب والغيظ في عينيها .. وتأكد هذا من الحاحها أكثر من مرة على مغادرة الحفل مبكراً .. وعندما انصرفت في آخر الأمر مع بعض الضيوف .. استطاعت كلير أن تلتقط جانباً من الهمسات المترددة « لم أر شيئاً كهذا من قبل .. كم هو أنيق ووسيم ! ! » .

بعد انصرافهم كانت كلير تقول لنفسها : دعيهن يخرفن ويهرّفن .. دعي القطط تموء غيظاً .. فمع كل ثرائهن وأناقتهن ، ليس لأي منهن حبيب في أناقة ووسامة حبيبها .. ثم تذكرت وهي في أوج فخرها وزهوها ، أن توني ليس أكثر من آلة .. فأحست برعشة تسودها ، وانخرطت في نوبة من البكاء ، وهي تتجه إلى حجرتها ، حيث بقيت طوال الليل والصباح التالي فوق الفراش مفتوحة العينين ، لا تتوقف عن البكاء . إلى أن هدأت حركة المرور ، ثم سمعت صوت السيارة التي قدمت لنقل توني ..

* * *

مرّ لاري زوج كلير على مكتب الدكتورة كالفن ، فوجدها مع العالم الرياضي بيتر بوجارت .. كان يود أن يجدها بمفردها ، لكنه لم يتردد في أن يقول لها « لقــد أخبرتني كلير أن الأتحاد هــو الــذي دفع تكاليف الأصلاحات في بيتي .. » فقاطعته دكتورة كالفن قائلة « لقد أدرجنا المبلغ كمصروفات أساسية وضرورية للتجربة .. وأعتقد أنك بمركزك الجديد

ككبير مهندسي المشروع ، ستجد البيت لائقاً بشكله الجديد .. » .

قال لاري « ليس هذا هو ما يشغلني .. إذا وافقت واشنطن على المشروع ، أفكر في أن أقتني إنساناً آلياً من هذا الطراز في العام المقبل .. أعتقد أن .. » ثم تردد ، واستدار كما لو كان سينصرف ، ثم عاد ليواجه دكتورة كالفن صامتاً ، فسألت « هل هناك مشكلة يا سيد بلمونت ؟ .. » .. قال لاري وهو يجد صعوبة في إختيار كلماته « أعتقد .. في الحقيقة أن مندهش لما حدث في البيت .. فهي .. أعني كلير .. تبدو مختلفة نهائياً .. ليس فقط من حيث المظهر .. ومع هذا .. الحقيقة انني مندهش .. » وضحك ضحكة عصبية وهو يستطرد « إنها ليست زوجتي التي عرفتها .. من الصعب على أن أشرح ذلك » .

سألت دكتورة كالفن« لماذا ؟ .. حاول .. هل أنت غير راض عن التغيير الذي حدث لها ؟ » . صاح لاري « بالعكس .. لكن الأمر يبدو مخيفاً بعض الشيء .. والغريب في .. » . قاطعته الدكتورة كالفن قائلة « لو كنت مكانك لما أصابني القلق يا سيد بلمونت . لقد استطاعت زوجتك أن تطور نفسها بشكل طيب .. صراحة لم أكن أتصور أنها كانت تستطيع اكمال التجربة .. لقد أفادتنا في تحديد ما يجب أن يدخل على التجربة من تحسينات .. أعتقد أن زوجتك تستحق منك المزيد من التقدير .. أكثر مما تبديه حالياً .. » .

احمر وجه لاري بوضوح وهو يتمتم « على العموم ... طالما أن الأمر سيبقى فيما بيننا .. » ثم انصرف .

* * *

لاحقته سوزان كالفن بنظراتها وهو ينصرف ، ثم قالت لزميلها الباحث بيتر بوجارت « أعتقد أنها تجربة صعبة بالنسبة له .. أتمنى أن .. هل قرأت التقرير الذي قدمه توني عن مهمته .. يا بيتر ؟ » .

قال بيتر بوجارت « بكل دقة .. ألا تعتقدين أن هذا الطراز من الأنسان الآلي يحتاج إلى بعض التعديلات الأساسية ؟ » . سألت دكتورة كالفن بحدّة « أنت أيضاً تتصور ذلك ؟ ! . ما هي وجهة نظرك ؟ .. » . قال بوجارت « لست في حاجة إلى أثبات ذلك .. الأمر يبدو في منتهى الوضوح ، لا يمكن أن ننتج نماذج من الأنسان الآلي ، تنطلق إلى البيوت .. لتقع بعد ذلك في حب ربات البيوت ! .. » .

« حب ؟ ! .. » ، صاحت دكتورة كالفن مستنكرة ، ثم استطردت .. « بيتر .. أنت تمرضني بكلامك هذا .. أنك بالفعل لم تفهم الموضوع .. هذه الآلة كانت ملتزمة بأن تسير في تصرفاتها وفقاً للقانون الأول .. وهكذا لم يكن في استطاعة توني أن يتسبب في ضرر لبشر .. وكلير بلمونت لحقها كل الضرر من جانب زوجها ، الذي كان ليسعى لإشعارها بعدم التكافؤ بينهما .. فتولد لديها شعور بالنقص ، لهذا لعب توني دور الشريك في علاقة عاطفية معها .. أخبرني يا بيتر .. من هي المرأة التي لا تشعر بالفخر لاستطاعتها أن تشعل العاطفة في آلة ! .. آلة باردة جداً .. لقد قام توني بإزالة ستائر الباب عمداً ، حتى يرى الآخرون موقفه معها ، ويحسدوها عليه .. وفي هذا أيضاً كان يلتزم بالقانون الأول .. إنه بالطبع لم يلحق بها ضرراً ، في علاقتها بزوجها .. فهو يعلم أن الزوج لن يتأثر بما قد يصله من أقاويل أو أشاعات حول علاقة بينها وبين الشخص الذي لمحوه في بيتها ..

توني ! .. أعتقد يا بيتر أن توني كان في هذا على درجة من المهارة .. » .

قال بوجارت متشككاً « هل تعتقدين ذلك ؟ .. على أي أحوال .. ليس هناك فارق بين أن يكون الأمر حقيقياً ، أو مجرد تظاهر وتمثيل .. فما زالت لهذا الوضع عواقبه المخيفة .. » . ثم عاد بيتر بوجارت إلى أوراق التقرير الذي بين يديه ، إستطرد قائلاً .

« أرجو أن تقرأي التقرير مرّة ثانية .. لقد تجنبته ! .. لقد صرخت عندما أخذها بين ذراعيه ! إنها لم تنم طوال الليلة الأخيرة والنهار الأخير ، نتيجة لحالتها الهيستيرية .. لا ! .. لا يمكن أن أسمح بهذا ! » .

تنهدت دكتورة كالفن ، وقالت بصوت هادىء « أنت لا ترى يا بيتر .. لقد غابت عنك الحقيقة ، كما غابت عني من قبل .. هذا الطراز من الأنسان الآلي سيعاد بناؤه كلية .. ولكن ليس للأسباب التي تذكرها .. بل لعكسها تماماً . الغريب أن تغيب عني هذه الحقيقة في أول الأمر .. » .

وصمتت للحظة وقد ظهرت عليها علامات التفكير العميق ، ثم قالت مستطردة « لعل هذا راجع إلى قصور في تكويني أنا شخصياً ! .. أسمع يا بيتر .. الآلات لا تقع في الحب .. لكن النساء عندما يفتقدن الحب ، يندفعن إلى أول فرصة حب تصادفهن ، مهما كان ذلـك الحب غريباً أو يائساً أو مخيفاً ! ! » .

أحمق واحد .. يكفي !

ذات مرة .. حدث في هذا العالم أن تحققت الأماني ..

كانت الحياة حلوة ، والناس .. كل الناس سعداء . اختفى الجوع من العالم ، فقد كان يكفي أن يتمنى المرء أي نوع أو قدر من الطعام ، حتى يحصل عليه . توفر المسكن والملبس لكل الناس بنفس الطريقة في ذلك الوقت . اختفى الحسد ، وتبددت هذه الكلمة من قاموس التعامل . إذا كان لدى أحد من الناس ما تطمح إليه .. ليس عليك سوى أن تتمناه ، فتجده بين يديك .

اختفت الحاجة كما اختفت الشيخوخة وعاش الناس حياة بسيطة ناعمة ، يتفرغون للأستمتاع بالجمال ، ويشغلون أنفسهم ببعض العلوم والأعمال اللطيفة . كانت الأيام تمضي مبهجة ممتعة ، لا تشغلها سوى النشاطات الوديعة الرقيقة .

في ذلك العالم ، كان يوجد أيضاً .. ذلك الأنسان .. الأحمق ..

فقط .. انسان أحمق واحد .

وكان في ذلك الكفاية ! ..

تطلع الأحمق حوله يوماً ، فوجد الأمور تمضي ناعمة هادئة .. أناس يتصفون باللطف .. ينهمكون في نشاطات لطيفة .. وسط طبيعة لطيفة .

انصرف مبتعداً عنهم ، إلى الوادي الصغير المعزول . وجلس بالقرب مـن بركة الزنبق الصغيرة ، تطل عليه أشجار الصفصباف السامقة ، وتشيع حوله روائح الربيع العطرة .

أخذ الأحمق يتأمل الحياة من حوله ، ثم تساءل كيف ستبدو هذه الحياة إذا ما جد عليها أمر ، أو طرأ عليها تغيير .. وهكذا بدأت تتشكل في رأسه فكرة حمقاء .

قال « أتمنى أن أنال شيئاً ، لم ينله أو يطلبه أحد من الناس .. » .

وكان من الواضح أن مثل هذه الأمنية لا تصدر ألا عن أحمق . ذلك انه قد ترك هدف أمنيته دون تحديد على الأطلاق . على الفور ، ونتيجة لهذه الأمنية ، هبط عليه « المرض » جاثماً ، ولم يكن المرض معروفاً في ذلك الزمان .. لم يصب به أحد ، ولم يتمنه أحد ..

أحمرت عيناه ، وسالت أنفه .. دق الصداع رأسه وارتعشت ركبتاه .. وشاعت الرجفة في عموده الفقري من أسفله إلى أعلاه .. ودبت الحمى في جسده .

صاح منزعجاً « لا .. لا أحب هذا ولا أتمناه .. أتمنى أن تسقط أمنيتي الأخيرة .. » وعلى الفور عادت إليه صحته .

قال وهو يستند إلى صخرة بجوار بركة الزنبق «كانت غلطة فظيعة ! .. مشكلتي ، أنني لا أفكر جيداً وطويلاً قبل أن أنطق بأمنيتي .. إذا ما فكرت بروية قبل أن أتكلم ، فلن أتورط في مثل هذه الأمنيات السخيفة ، وعلى هذا .. » . والتقط أنفاسه قبل أن يقول « أتمنى أن أفكر طويلاً قبل أن أنطق بأي أمنية جديدة .. » ، فنال ما تمنى .

وهكذا ، نتيجة لحماقته ، لم يكتشف المغالطة المنطقية التي وقع فيها . تعني بذلك أن الأحمق إذا ما فكر طويلاً فسيصل دائماً إلى أفكار حمقاء .. وأي قدر من الأفكار الحمقاء يدور في رأسه ، لن يصل به إلى فكرة أو أمنية واحدة تتصف بالحكمة والعقل .

لهذا مضى مضللاً ، يفكر في أمنيته التالية وماذا ستكون . لم يخطر على باله أن يتمنى الثروة ، فقد انتقى معنى الثراء في عالم ينال فيه أي أنسان كل ما يريد بسهولة . كما كانت المطالب والأمنيات المادية أمراً عادياً رخيصاً . عاد الأحمق يقول لنفسه متسائلاً « إن ما يجب أن أتمناه حتى أتخلص من شعور القلق الذي يعذبني ، هو أندر متع العالم .. سأتمنى الحب .. حب جميع الكائنات .. » .

على الفور . قفزت ضفدعة من بركة الزنبق واستقرت في حجرة ، ثم ثم نظرت إليه في هيام شديد ، بعينين ضفدعيتين مترعتين رقة وحباً .. وأطلقت نداء حب رقيق ..

صاح الأحمق متقززاً « أف ! .. » ، وقبض على الضفدعة مشمئزاً ثم طوحها لتسقط وسط البركة لكن المخلوق الصغير العاشق ، أخذ يعوم جاهداً ليصل إلى الصخرة ، حيث يجلس حبيب الفؤاد .. أسرع الأحمق بالغاء أمنيته الأخيرة ، فعادت الضفدعة تقفز إلى البركة وقد أصابها الخوف الشديد .

همس الأحمق لنفسه «كانت أمنيته حمقاء .. معظم أمنياتي أجدها حمقاء .. بل أن أفكاري وأقوالي كلها حمقاء .. ماذا أفعل لا تجنب هذه الحماقات ؟ .. » .

وهو ، لو لم يكن أحمق ، لتمنى ببساطة أن ينطق بالأقوال الحكيمة العاقلة . لكنه ، منطلقاً من حماقته قال باندفاع « لقد عرفت .. ها أنا أتمنى الا أنطق قولاً أحمقاً في حياتي .. » .

فتم له ما أراد وتمنى ، ولكونه أحمقاً ، لا ينطق بغير الحماقة ، وجد نفسه لا يستطيع النطق بحرف واحد ! .

تجمد خوفاً .. جاهد أن يقول شيئاً ، لكن صوتاً ما لم يخرج من فمه .. حاول وحاول بكل طاقته فلم يكسب سوى التهاب حنجرته .. أخذ يجري هنا وهناك متألماً يبحث عمن ينقذه . فبغير القدرة على الكلام ، لن يتمكن من الغاء أمنيته الأخيرة . لكنه لم يعثر على أنسان في المكان الخلوي الذي أختاره لمجلسه . وفي آخر الأمر ، أرتمى الأحمق على الأرض منهكاً ، بالقرب من الممشى المؤدي إلى المدينة .. وراحت دموعه تسيل على وجهه في صمت .

بالمصادفة ، مر به صديق ، فوجده على ذلك الحال . نظر إليه متعجباً من استلقائه على الأرض ، وقال « أهلاً .. ما بك ؟ » .

فتح الأحمق فمه وأغلقه عدة مرات ، دون أن يصدر صوتاً .

قال الصديق بأدب ودماثة « أعتقد أنني لم أسمع جيداً ما قلت .. » .

عاود الأحمق محاولته للنطق ، بلا أدنى نجاح .

أحس الصديق ببعض الضيق من تصرف الأحمق ، فقال مقطباً « صدقني .. لست في مزاج يسمح لي بحل الأحاجي والفوازير .. إذا لم تستطيع أن تكون أكثر جدية ، فسأمضي عنك فوراً .. » واستدار الصديق استعداداً للأنصراف .

نهض الأحمق على ركبتيه ، محتضناً ساقي الصديق ، جاذباً ملابسه ، ثم راح يشير بيده ويعبر بوجهه في محاولة لنقل مشكلته إلى الصديق ، فقال الصديق حائراً « أتمنى أن تقول لي ما هي مشكلتك بالضبط .. » .

عندها ، نطق الأحمق قائلاً « لقد تمنيت ألا أنطق حمقاً .. وفجأة ، وجدت نفسي عاجزاً عن النطق » .

قال الصديق فاهماً « حسن .. هذا يفسر كل شيء .. يا صديقي ، يؤسفني أن أقول لك إنك أحمق ، لذا فكل ما ستنطق به لن يخرج عن حدود الحماقة .. عليك يا صديقي أن تتجنب مثل هذه الأمنيات .. » وتوقف قليلاً يتأمله ، ثم استطرد « أعتقد أنك تطلب أحلالك من أمنيتك الحمقاء ؟ .. » هز الأحمق رأسه مؤمناً عدة مرات بحماس قال الصديق : « عظيم جداً .. أتمنى أن تعود إليك قدرتك على الكلام .. » .

صاح الأحمق فرحاً « آه .. شكراً لك .. شكراً لك .. » .

فقال الصديق وهو ينصرف .. لكن ، كن منتبهاً وحريصاً لما تقوله في المستقبل ، لأن الأماني عندنا – كما تعلم – تتحقق بطريقة آلية .. مهما كان ما تتصف به من حماقة .. » .

* * *

عاد الأحمق ليجلس مستنداً إلى صخرته بجوار بركة الزنبق .. لقد كان صديقه محقاً فيما قال .. كل ما سيقوله سيتسم بالحماقة .. وسيحدث دائماً أن تتحقق أمانيه الحمقاء . إذا كان الأمر كذلك – وهو فعلاً كذلك – فسيقع دائماً في دوامة لا تهدأ من المشاكل المتلاحقة .

خير حل لهذه المشكلة هو ألا ينطق شيئاً ... لا ، لقد جرب ذلك منذ

قليل ، وكانت تجربة فظيعة مؤلمة .

ماذا يفعل ؟ . كلما أمعن في التفكير ، تعقدت الأمور وساءت الأوضاع .. يبدو أنه لن يتوافق أبداً مع هذا النظام الذي يسود العالم .. هذا النظام لا يصلح له أبداً .. لقد حاول وحاول دون فائدة .

وفجأة .. هبطت عليه الإجابة الشافية لكل هذه التساؤلات .. لماذا لا يتغير نظام هذا العالم ، ليحل محله النظام الجديد الذي يتفق مع تكوينه وأفكاره وطباعه ؟ ! .. قال فرحاً « أتمنى .. ألا تتحقق الأمنيات بشكل آلي في هذا العالم .. » .

وعادت إلى العالم كل مشاكله القديمة .

القفص

كان قد مضى أكثر من مائتي يوم منذ أن هبطوا على ذلك الكوكب المجهول الذي لا يعرفون له إسماً .

بدأت القصة عندما نفذ رصيد الطاقة في مولدات « اهرنهافت » التي تعمل بها سفينتهم « النجم القطبي » ، ولأسباب غير معروفة . فأصدر قائد سفينة الفضاء أوامره بالهبوط أضطرارياً على هذا الكوكب . ورغم أن الهبوط تم في سلام ، إلا أن القائد لاحظ بعد ذلك خللاً في أجهزة السفينة ، جعله يصدر أمره إلى مساعد قائد السفينة هاوكنز بإخلائها فوراً من الركاب ، فيما عدا قلة من الفنيين يحتاجهم القائد في محاولة إصلاح الخلل الذي أصاب الأجهزة .

كانت تعليمات القائد واضحة صريحة ، يجب ابعاد الركاب إلى أقصى مدى ممكن . وبعد أن أنتهى هاوكنز من إنزال الركاب إلى أرض الكوكب ، والأبتعاد بهم عن جسم السفينة ، بدأت الأنفجارات المتتالية في مخازن الطاقة بالسفينة . حاول بعض الركاب التوقف لمتابعة ما يحدث ، فكان هاوكنز يصرخ فيهم غاضباً ، بل أنه لجأ إلى لطم البعض بقسوة ، طالباً الأبتعاد بسرعة حتى لا تدركهم الأشعاعات الناتجة عن هذه الأنفجارات .

ما أن مضى بعض الوقت . حتى إنفجرت سفينة الفضاء بأكملها ،

وتحولت بمن فيها إلى سحابة مرتفعة في السماء على شكل عش الغراب .

أخذ هووكنز ، بمساعدة الدكتور بويل جراح السفينة ، يحث الركاب على مزيد من الأبتعاد عن موقع الأنفجار ، هرباً من الإشعاع الذري الناتج . حتى وصل الجميع إلى مكان آمن أرتموا فيه من فرط الأجهاد والفزع .

ظهرت المفاجأة الأولى على سطح ذلك الكوكب بعد يومين . رغم جهود الدكتور بويل في البحث عن طريقة لتفادي ما يحدث لركاب سفينة الفضاء « النجم القطبي » ، من تحلل سريع غريب في طبيعته ، إلا أنه كان من الواضح عدم جدوى مقاومته . لقد كان الطقس ضدهم . بلغت الحرارة ٣٥ درجة مئوية ، وكان الجو رطباً ، ينتشر فيه الرذاذ الدافئ طول الوقت . وانتشر في هواء الكوكب فتات من الفطريات المتكاثرة على أرضه ، ورغم أنها لا تهاجم الأجسام العضوية الحية ، إلا أنها كانت ذات تأثير شديد على المواد العضوية الميتة ، مثل الملابس . وقد تصور دكتور بويل أن هذه الفطريات لن يكون لها تأثير على المعادن أو النسيج الصناعي أو لدائن البلاستيك . إلا أنه ما أن مضت عدة أيام حتى كانت قد أتت عليها جميعاً ، وتركت ركاب السفينة بلا شيء يستر أجسامهم .

المعروف أن توالي المخاطر وتتابعها ، يخلق لدى الجماعات حالة معنوية عالية ، ويستفز قدراتها ومقاومتها ، غير أن الوضع على الكوكب كان بعيداً عن هذا كل البعد . لم تكن على أرض ذلك الكوكب حيوانات خطرة أو مفترسة ، بل كائنات حية صغيرة الحجم ذات جلد أملس ،

شبيهة بالضفادع ، تتدافع على الأرض الزلقة الدائمة الابتلال . وفي الأنهار العديدة التي تشق أرض الكوكب ، تعوم كائنات أشبه بالأسماك ، تتباين في حجمها ، من ضآلة أبو ذنيبة إلى ضخامة سمك القرش الكبير .

لم يكن الطعام مشكلة بعد ساعات الجوع الأولى . فقد تبرّع بعض المتطوعين بتجربة نوع ضخم من عش الغراب ينمو على جذوع أشجار شبيهة بالسرخس ، وعندما لم يمت أحد منهم أو يعاني من أية آلام أو متاعب ، أصبح هذا الفطر عماد الوجبة الدائمة للجماعة كلها . وبعد عدة أسابيع ، تم أكتشاف أنواع أخرى من الفطر تصلح للطعام . بالإضافة إلى بعض الجذور والثمار الشبيهة بالتوت ، فتعددت فرص تنويع الوجبة اليومية أمامهم .

ورغم الحرارة المرتفعة لجو الكوكب ، فقد فشلت الجماعة في إشعال النار . كانوا يحتاجون إلى النار لإنضاج الكائنات الشبيهة بالضفادع وتلك التي تسعى في الأنهار ، بهدف التوسع في قائمة الطعام . لقد حاول بعض أفراد الجماعة ، من ذوي الأرادة الحديدية ، أن يأكلوا هذه الكائنات دون إنضاج ، غير أن تصرفهم هذا قوبل بالتقزز من باقي أفراد الجماعة . وكانوا أيضاً يحتاجون إلى النار ، لتبديد ظلمة الليل الطويل ، والتخلص من الشعور بالبرد نتيجة لرذاذ الماء المتساقط دوماً على أرض الكوكب . لكن حتى الأساليب البدائية في اشعال النار بالأحتكاك بين قطعتي خشب ، منيت بالفشل نتيجة للرطوبة في الجو .

* * *

إختارت الجماعة لمقامها ، سفح تل من التلال التي على الكوكب (فالرجال لم يعثروا على جبال قط ، بل مجرد تلال صغيرة) . كان الجو عند سفح ذلك التل أقل رطوبة ، والأرض أقل لزوجة . وقد نجحوا في استخدام سيقان النبات السرخسي لبناء مخابئ بدائية لهم . تنفع في إرساء شعور بالخصوصية ، أكثر مما توفر أي نوع من أنواع الراحة .

ومن فرط تمسكهم بالأمل ، مهما كان ضعيفاً ، تعلقوا بأشكال التنظيم الحكومي التي خلفوها على الأرض ، فانتخبوا من بينهم مجلساً ، وكان دكتور بويل جرّاح السفينة هو رئيس المجلس ، أما هووكنز مساعد قائد السفينة ، فقد أصبح مجرد عضو بالمجلس ، بل أنه فاز بالعضوية بفارق صوت واحد . وقد كانت النتيجة مفاجأة له ، إلا أنه قبلها بعد أن أرجعها إلى موقف الجماعة منه ، كممثل لقيادة السفينة ، تلك القيادة التي أوصلتهم إلى المأزق الحالي .

جرى الاجتماع الأول للمجلس في كوخ أقيم لهذا الغرض ، هذا مع ما في تسمية (كوخ) من تجاوز شديد . تفرق الأعضاء في دائرة غير منتظمة ، ونهض بويل رئيس المجلس ، فأبتسم هاوكنز بسخرية عندما قارن بين وقفة الطبيب الوقورة المتفاخرة التي إستمدها من منصبه ، وبين عريه ومظهره الأشعث ، بشعره الرمادي المهوش ، وذقنه المنتفشة .

بدأ بويل حديثه « سيداتي سادتي .. لقد جرى انتخابنا ، كما تعرفون ، لنمثل المجتمع الأنساني على أرض هذا الكوكب ، واعتقد أن أول ما يجب علينا بحثه في هذا الأجتماع ، هو فرص حياتنا وبقائنا ، ليس فقط كأفراد ولكن كجنس بشري .. » .

قاطعته أحدى المرأتين اللتين ضمهما المجلس .. صاحت المرأة النحيفة التي ظهرت عظام ضوعها وفقراتها ناتئة تحت جلدها « أريد أن أسأل السيد هاوكنز عن احتمالات إنقاذنا .. وإعادتنا إلى الأرض » .

قال هاوكنز « الأحتمالات ضعيفة .. فكما تعرفون ، لم يكن من الممكن الأتصال بالأرض أو بأي سفينة أخرى أثناء رحلة السفينة . وعندما هبطت السفينة على هذا الكوكب ، أرسلنا أشارات الأستغاثة إلى الأرض ، لكننا لم نستطيع أن نحدد لهم موقعنا .. وعلى أي حال ، فنحن لا نعلم إذا ما كانوا قد سمعوا استغاثتنا أم لا .. » .

قال بويل بحدة « سيدة تايلور .. سيد هاوكنز .. أحب أن أذكركما بأنني رئيس هذا المجلس ! وسيكون هناك ما يكفي من الوقت لمناقشاتكما ، بعد أن ينتهي هذا الأجتماع .. » . صمت قليلاً يستجمع أفكاره ثم قال «كما لا بد أنكم لاحظتم ، أن العصر الذي يمر به هذا الكوكب ، يشبه بصفة عامة ذلك العصر الذي مرت به كرتنا الأرضية ، والذي تطلق عليه (العصر الفحمي) . وكما نعلم ، لم تنشأ بعد على هذا الكوكب أية أنواع تهدد تفوقنا وأمننا . ولكن مع مرور الزمن ، ستستجدّ أنواع من السحالي الضخمة التي عرفتها أرضنا فيما يسمى بعصر الصخور الحمراء .. عنـــدما يحدث هذا ، لا بد أن نكون قد أعددنا العدة لمواجهته .. » .

قاطعه أحد الرجال قائلاً « سنكون قد متنا عند ذلك ! .. » .

هز دكتور بويل رأسه موافقاً وقال « نعم .. سنكون قد قضينا .. لكن سلالتنا ستكون على قيد الحياة .. علينا أن نفكر من الآن في أن نوفـــر لها أفضل الظروف .. » .

صاحت المرأة الأخرى التي تشارك في عضوية المجلس ، وكانت نحيفة ذات شعر أصفر وتقاطيع حادة « قبل أن نتكلم عن هذا المستقبل البعيد .. علينا أن نقرر شيئاً في موضوع السلالة هذا ! . على هذا الكوكب توجد اليوم خمس عشرة إمرأة في سن الإنجاب .. وكن جميعاً حتى الآن غاية في الحذر بالنسبة لموضوع الإنجاب .. هل يمكنك ، كطبيب أن تضمن لنا ولادة آمنة مع نقص المعدات والعقاقير اللازمة ؟ .. وما هي فرص الحياة الطبيعية أمام أطفالنا ؟ » .

تخلى الدكتور بويل من إفتخاره الذي بدأ به الإجتماع وقال « سأكون صريحاً معكن .. ليست لدى الأدوات أو العقاقير اللازمة ، كما أشارت الآنسة هارت .. ولكني واثق أن فرصتكن في ولادة آمنة ، ستكون أفضل بكثير من تلك التي كانت لنساء الأرض في القرن الثامن عشر . والسر في هذا ، هو عدم وجود جراثيم على هذا الكوكب .. » .

وعادت الأنسة ماري هارت لتقول « هناك نقطة أخرى .. مجموع الرجال والنساء على هذا الكوكب ثلاثة وخمسون شخصاً .. بينهم عشرة بصحبة زوجاتهم ، ندعهم جانباً ، فيكون الباقي ثلاثة وثلاثين شخصاً .. عشرون رجلاً مقابل ثلاث عشرة إمرأة ! .. يا للحظ التعيس ! ، ما نوع الزواج الذي يمكن أن يتم بيننا ؟ .. هل سنلجأ إلى تعدد الأزواج ؟ ! » .

« بالطبع لا ! » ، قالها رجل طويل محتداً ، وكان من ضمن القلة التي ما زالت تحتفظ بما يرمز إلى الثياب ، مجرد شرائط مهلهلة مع بعض أوراق السرخس ..

قالت المرأة « هذا هو الأفضل .. ولكني أحذر مما ينتظرنا من متاعب ..

فجرائم الغيرة تقع في النهاية على رأس المرأة ، أكثر مما تقع على أيّ من الرجلين .. وأنا أكره أن يحدث لي هذا .. » .

قال الطبيب متسائلاً « وما هو إقتراحك يا آنسة هارت ؟ » .

أجابت « اقتراحي بالتحديد .. هو أن نستبعد الحب من علاقتنا الزوجية .. إذا ما أصر رجلان على الزواج من إمرأة بعينها .. عليهما أن يتعاركا من أجلها .. والأقوى هو الذي ينال المرأة .. » .

تمتم الطبيب « الأنتخاب الطبيعي .. لست ضد هذا .. لكن يجب أن نأخذ الأصوات عليه » .

* * *

كانت هناك على قمة التل أرض منخفضة ومنبسطة .. حلبة ملاكمة طبيعية ، حول هذا المنخفض جلس سكان الكوكب الآدميين ، ما عدا أربعة منهم . الطبيب الذي رشحه عمله كرئيس للمجلس لوظيفة الحكم ، والآنسة ماري هارت التي نجحت بصعوبة في تمشيط شعرها الطويل ، وأمسكت بإكليل من الورد تقدمه للمنتصر ، بالاضافة إلى الرجلين اللذين يتنافسان عليها .

سادت الجمهور مشاعر الحماس ، وأخذ هاوكنز أثناء جلسته بين الجمهور ، يتفرس في الأربعة الذين يتوسطون الحلبة .. المرأة المغرورة المتوحشة .. الطبيب الفخور .. والرجلين المتنافسين ، بلحيتيهما السوداوتين على جلدهما الأبيض .. انه يعرفهما جيداً .. فينيت ، الضابط الكبير السابق في السفينة المنكوبة « النجم القطبي » ، وكليمنس أحد الركاب ، وصاحب

الأبحاث في أحوال الكواكب البعيدة ، الذي يكبر فينيت بسبعة أعوام على الأقل .

تصاعد النقاش الحماسي بين الجمهور ، حول الذي سيفوز بالمرأة ، فصاح الدكتور يويل بصوت مرتفع يغطي على نقاشهم « ممنوع الأقتراب من العينين .. ممنوع العض .. وليكن الفوز من نصيب الأحق .. » .

تراجع الطبيب برشاقة مبتعداً عن المتباريين ، مقترباً من المرأة التي يتنافسان عليها ، وتصاعد حماس الجمهور الذي حرم من أي حدث مثير ، منذ تحطم السفينة على هذا الكوكب . وقف المتباريان وقد ضم كل منهما قبضيته إلى جانب جسمه في وضع تحفز ، وإن ظهر عليهما معاً تعبير الندم على الإنزلاق إلى هذا الموقف .

صاحت ماري « هيا .. تحركا .. ستعيشان طويلاً على هذا الكوكب .. وستكون حياة مملة بلا إمرأة » . صاح واحد من الجمهور معاتباً « يمكنهما أن ينتظرا حتى تكبر ابنتك يا ماري ! » . قالت بمرارة « هذا إذا ما قدر لي أصلاً أن أحظى بابنه .. هذا الركود .. لا يشجع على ذلك الأمل .. هيا .. تحركا ! » .

كان فينيت هو الذي بدأ الجولة . أخذ خطوة إلى الأمام ثم سدد لكمة إلى فك كليمنس . كانت ضربته قوية . رفع كليمنس بعدها يده إلى أنفه ، ثم أبعدها متفرساً في الدم اللامع الذي صبغها . تمتم كليمنس غاضباً ، وتقدم مهاجماً لكن فينيت تراجع في حركات راقصة ، واستطاع أثناء ذلك أن يسدد ضربتين جديدتين إلى وجه غريمه . ثم عاد إلى حركاته الراقصة ، فانزلقت قدمه على الحشائش المبتلة ، واسرع كليمنس فهبط

بكل ثقله على جسم غريمه . وسمع هاوكنز من مكانه صوت الهواء المندفع من رئة فينت . أحاط كليمنس جسم غريمه بذراعيه فدفعه فينيت بركبته في بطنه . أصدر كليمنس صرخة ألم ، ولكنه أسرع فأمسك بإحدى يديه رقبة فينيت ومد يده الأخرى إلى عينيه ! ..

صاح دكتور بويل « أبعد عن العينين .. هذا ممنوع ! » . قالها وهو يركع على ركبتيه ممسكاً قبضة كليمنس بكلتي يديه .

هنا .. حدث ما جعل هاوكنز يتطلع إلى أعلى .. باحثاً عن مصدر صوت غريب ، تكاد تضيع معالمه وسط صيحات الجمهور الحماسية . ربما كان الصوت الغريب هو الذي لفت انتباه هاوكنز ، وربما كانت الحاسة السادسة التي يتمتع بها الممتازون من رجال الفضاء .. إلاّ أن ما رآه جعله يصرخ صرخة عالية ! ! .

فوق الحلبة ، حوّمت طائرة هيليوكوبتر ذات تصميم غريب ، مما جعل هاوكنز يجزم بأنها ليست تابعة لكوكب الأرض . ومن بطن الطائرة الناعم اللامع ، تدلت شبكة معدنية ، استطاعت أن تقتنص المتلاكمين والطبيب والآنسة هارت ..

صاح هاوكنز ثانية ، وقفز ناهضاً ، مسارعاً لنجدة زملائه ، غير أن الشبكة بدت حية متحركة ، فقد إنحرفت ناحيته ، وامتدت إلى ذراعيه ، فأمسكت به ، ثم قبضت بنسيجها المعدني على قدميه . هم بعض الحاضرين لنجدة هاوكنز ، ولكنه صاح فيهم وهو معلق في الفضاء « ابتعدوا .. تفرقوا .. » .

في لحظات ، اختفت الشبكة داخل جوف الطائرة ، ثم غابت الطائرة

عن الأنظار ، ولم يتعجب هاوكنز عندما هبطت الطائرة في نهاية رحلتها بالقرب من سفينة فضاء هائلة تقف شامخة فوق سهل منبسط على سطح الكوكب .

* * *

كان الكوكب الذي أوصلتهم إليه سفينة الفضاء أكثر تطوراً ، بلا ريب ، من الكوكب الذي خلفوه وراءهم . وفي القفص الزجاجي الذي حبس فيه الرجال الثلاثة كان الطقس مطابقاً لطقس الكوكب الذي اختطفوا من فوقه ، ومن سقفه تساقط بإنتظام ذلك الرزاز الدافئ ، كما تم تزويد القفص بعدة أشجار من نبات السرخس . ومن فتحة إسمنتية كان الطعام يدخل إليهم في وجبتين يوميتين عمادهما عش الغراب الذي كانوا يعيشون عليه منذ أن حطت سفينتهم (النجم القطبي) . وفي جانب القفص كانت هناك ثغرة في أرضيته ، يبدو واضحاً أنها مخصصة كدورة مياه للمجموعة .

على جانبي قفصهم توزعت عدة أقفاص في أحدها - سجنت ماري هارت بمفردها . وكانت وسيلة إتصالها بهم ، تلك الحركات التي تقوم بها ، ملوحة بيديها . وفي قفص على الجانب الآخر ، رقد حيوان متوحش ، قريب في هيكله من اللوبستر المائي ، وأن كانت له بعض ملامح الأخطبوط . وعلى الجانب الآخر من الممر توزعت مجموعة أخرى من الأقفاص ، لا تشبه القفص الذي يقيمون فيه .

كان الرجال الثلاثة ، بويل وهاوكنز وفينيت ، يجلسون على أرض القفص الرطبة اللزجة ، يتطلعون من خلال زجاج القفص ، إلى تلك

المخلوقات التي أختطفتهم وسجنتهم ، باشكالها الغريبة .

تنهد الطبيب بأسى وقال « لو أنهم كانوا أشبه بالآدمين .. ربما كان من الممكن أن نصل إلى طريقة في التفاهم ، نعرفهم من خلالها ، أننا أيضاً مخلوقات ذكية متطورة ، وأن الكوكب الذي إختطفونا منـــه ليس كوكبنا .. » .

قال هاوكنز مستنكراً « يشبهوننا ؟ ! ! .. لقد أنقلب الوضع ، وأصبح علينا الآن أن نقنع مخلوقات لها شكل البراميل ذات ستة أرجل ، أننا نمتّ لها بصلة الأخوة ! ! .. لماذا لا نحاول نظرية فيثاغورس مرة ثانية ؟ » .

تحرك فينيت متثاقلاً ، وأخذ يقتطع من سيقان السرخس ما يصلح لرسم النظرية الهندسية . رسم مثلثاً قائم الزاوية ، وأقام على كل ضلع من أضلاعه مربعاً . فراح ثلاثة من أهل هذا الكوكب يتابعون عمله بعيونهم المسطحة الغبية ، كان أحدهم كبير الحجم ، والثاني أصغر منه قليلاً ، والثالث أصغر منهما بشكل ملفت . مدّ الوجل الكبير أصبعاً شبيهاً بقرن الإستشعار إلى أحد جيوبه ، فقد كانوا يرتدون الملابس ، وأخرج لفافة ناولها لأصغرهم . حلّ الصغير رباط اللفافة ، وأخذ يتناول من داخلها قطعاً صغيرة براقة زرقاء ، يقذفها إلى فتحة عريضة في أعلاه ، لا ريب تستخدم كفم ، قال هاوكنز متأملاً « لو أنهم يطعموننا كما يطعمون حيواناتهم التي في الأقفاص ، بمثل هذه الحلوى .. لقد سئمت عش الغراب اللعين هذا ! » .

قاطعه الطبيب قائلاً بجدية « دعنا نجري تقييماً جديداً للموقف .. لقد انتشلوا خمسة منا بواسطة طائرة هيليكوبتر . نقلنا منها إلى سفينة فضاء

لا تبدو بأي حال من الأحوال أكثر تطوراً من سفننا . في السفينة وضعوا كل واحد منا في قفص خاص . وكانت معاملتهم طيبة . ثم هبطنا على هذا الكوكب الجديد الذي لم نستطيع أن نرى شيئاً منه ، فقد نقلنا من السفينة في عربة مغلقة إلى هذا المكان حيث تقدم اثنان من هذه البراميل المتحركة ، يمسكان بايديهم المتعددة هذه الشباك المعدنية القناصة العجيبة ، فأخذوا بها كليمنس والآنسة هارت ، ثم أدخلونا إلى هذا القفص .. وبعد قليل ظهرت الآنسة هارت في القفص المجاور .. » .

تساءلت فينيت « هل تظن أنهم قاموا بتشريح كليمنس .. لم أكن أحبه ، ولكن .. » ، قال بويل مقاطعاً « أرجّح هذا .. ولكن الذي يؤسفني ، إنه ليست هناك وسيلة للتعرف على مدى الذكاء من التشريح ! ! ، المشكلة هي كيفية أقناعهم بأننا كائنات متطورة .. والسؤال هو كيف نتعرف نحن البشر على الكائنات العاقلة ؟ » .

قال هاوكنز « لقد قرأت .. لست أدري أين .. أن تاريخ الأنسان يبدأ منذ أن أستطاع أشعال النار ! » . قال ضابط الفضاء فينيت ساخراً « لا تكن سخيفاً .. أنت تعلم أنه ليس لدينا أي نوع من الأدوات التي تصلح لأشعال النار» ، وصمت قليلاً ثم قال « عندما كنت صغيراً ، كان من بين الضباط العاملين في سفن الفضاء ، من يميلون إلى إحياء الحرف والفنون القديمة .. لقد كنا نعتبر أنفسنا سلالة جديدة للبحارة القدماء .. فتعلمنا كيف نحبك طرفي حبل أو سلك ، وكيف نعقد أصعب العقد . وذات يوم ، إقترح أحدنا فكرة صناعة السلال . كنا في سفينة فضاء خاصة بنقل الركاب .. فكنا نصنع السلال خلسة ، ثم نلونها بألوان زاهية ونبيعها

للركاب ، بإعتبارها تذكارات أصليه من الكوكب المفقود .. اركوتوروس السادس .. وكان الموقف موجعاً عندما اكتشف كبير الضباط أنه ... » ، قاطعه الطبيب بحسم « ما الذي ترمي إليه ؟ ! » . فأجاب « ليس أكثر من هذا .. سنريهم مهارتنا اليدوية بصناعة السلال .. أعلمكم وتساعدوني .. » .

قال بويل متأملاً « قد تنجح هذه الطريقة .. ولكن لا تنسى أن بعض الطيور والحيوانات على الأرض لها نفس هذه المهارة .. كالقندس أو كلب الماء الذي يبني السدود المعقدة . كما أن بعض الطيور تبني أعشاشاً جميلة ، كجانب من طقوس الغزل التي تمارسها في موسم التزاوج ؟ ! .. » .

يبدو أن رئيس حراس هذه المخلوقات ، كانت له معرفة بما قاله الطبيب ، عن بناء الأعشاش كطقس من طقوس الغزل .

فبعد ثلاثة أيام من العمل المحموم في صناعة السلال ، التي استهلكت معظم فروع السرخس الموجودة بالقفص ، أخرج ماري هارت من قفصها ودفعها إلى قفصهم .

بعد ثورة الفرح الهيستيرية التي قامت بها ماري عند دخولها إلى قفصهم ، قال هاوكنز لنفسه ، جميل أن تقيم ماري معنا في نفس القفص .. إلا أن هذا يقتضي حذراً شديداً من ناحية فينيت . بل يجب أيضاً مراقبة تحركات بويل .. العنزة العجوز ! ..

وعندما حل موعد النوم ، حرص هاوكنز أن يختار لماري مرقداً بعيداً عن المكان الذي يرقدون فيه ، حتى لا يسهل على أي منهما التسلل إليها . كانت الأثارة التي حركتهم بلقاء ماري قد اجهدتهم ، فراحوا جميعاً

في سبات عميق ..

فجأة .. صرخت ماري .

انتفض هاوكنز ناهضاً من رقاده .. أطمأن إلى وجود الرجلين إلى جواره ، فنظر إلى الناحية الأخرى من القفص .. وجد جسم ماري الباهت يرتعش تحت الضوء الخافت لليل هذا الكوكب الذي لا يعرف الظلمة المطبقة . أتجه إليها وسألها « ما الذي حدث ؟ » .

أجابت من خلال أنفاسها المضطربة « لا .. لا أدري .. شيء صغير له مخالب حادة .. جرى فوق جسمي ! .. » . قال هاوكنز مبتسماً « انه جون .. » ، تساءلت ماري « جون ؟ ! .. وما هو جون هذا ؟ » . قال الطبيب « إنه المقابل المحلي للفأر عندنا .. رغم أنه يختلف في شكله عن الفأر كل الأختلاف .. يخرج من باطن الأرض .. لست أدري من أين .. يبحث عن بقايا الطعام .. لقد أسميناه جون .. ونحن نحاول أن نستأنسه .. ! .. » .

صرخت ماري « تشجعون هذا الوحش ؟ ! .. أفعلوا شيئاً .. حالاً .. ضعوا له السم .. إنصبوا له فخاً .. الآن ! .. » . قال هاوكنز « غداً صباحاً نفكر في الأمر .. » . فضربت الأرض بقدمها وهي تصيح « بل الآن ! » . وبحزم قال لها هاوكنز « قلت غداً .. » .

* * *

ثبت أن اقتناص جون أمر سهل .. فقد تم وصل سلتين من السلال على شكل محارة لاستخدامها كمصيدة ، ثم وضعت عصاه عمودية بين ضلفتّي المحارة تسقط عند أقل اهتزاز ، وداخل إحدى السلتين وضعت

قطع من عش الغراب . في مساء ذلك اليوم كان هاوكنز يرقد بلا نوم على الأرض المبتلة ، عندما سمع صوت انغلاق الفخ ، وصوت المخالب الدقيقة تخدش نسيج السلة .

كانت ماري نائمة ، فأيقظها قائلاً « لقد أصطدناه » . فقالت بصوت يغلب عليه النعاس .. « إقتله إذاً » ، غير انهم لم يقتلوا جون .. لقد عشقه الرجال الثلاثة . وما أن طلع الصباح حتى كانوا قد صنعوا له قفصاً ابتكره هاوكنز .. حتى الفتاة تبدد خوفها منه ، وعندما تمعنت في تلك الكرة غير المؤذية ، ذات الفراء المتعدد الألوان . أخذت تتبعه وهو يروح ويجيء في سخط داخل القفص . بل كانت تطعمه بيدها ، وتضحك مستثارة عندما يمد مخلبه الصغير ، يختطف قطع عش الغراب من فوق أصبعها .

دام استمتاعهم بملاعبة الحيوان في قفصه ثلاثة أيام . وفي اليوم الرابع دخلت الكائنات الغريبة بشباكها المعدنية إلى القفص ، فاقتنصت هاوكنز وأخذت معها جون .

قال بويل بمرارة « أخشى أن يكون هاوكنز قد مضى إلى نفس المصير =الذي كان بانتظار كليمنس ! » .

قال فينيت بإنقباض « يبدو أنّه طريقنا جميعاً .. أما التشريح .. أو التحنيط للأحتفاظ بنا في المتاحف .. » .

صرخت الفتاة متشنجة « .. لا .. لن يفعلوا ذلك .. لن يتمكنوا من ذلك » ، قال الطبيب بويل بحزن « بل يمكنهم .. » . ثم خيّم عليهم سكون طويل .

وفجأة .. فتح الباب .. وقبل أن يتقهقر الثلاثة في حركات الدفاع

الغريزية ، ارتفع صوت يقول « لقد أصبح كل شيء على ما يرام .. هيا أخرجوا من هنا ! » تقدم هاوكنز إلى وسط القفص . كان حليقاً ، يرتدي سروالاً على أحدث طراز من نسيج أحمر فاقع .

قال هاوكنز « هيا يا رفاق إلى الخارج .. لقد قدم أهل هذا الكوكب أعتذارهم بكل إخلاص ، وأعدوا لنا مكاناً للأقامة أكثر لياقة بنا . و بمجرد أن يجهزوا سفينة فضاء سنذهب لإنقاذ باقي المجموعة .. » .

سأل دكتور بويل بفضول شديد « انتظر .. أرجوك ، أخبرنا بتفاصيل الموضوع . ما الذي أقنعهم بأننا مخلوقات عاقلة متحضرة ؟ ! » .

أظلم وجه هاوكنز وهو يقول « لأنهم يعرفون أن الكائنات العاقلة فقط هي التي تضع الكائنات الأخرى في أقفاص ! ! .. » .

أسبوع الرعب

« هل ترغبين في اختفاء شيء ما ؟ » .

هكذا سأل كلارنس ويلبي أمه ، وهي تعمل في مطبخ البيت .

« كل ما أفكر فيه الآن ، هو اختفاء هذا الكوم من الأطباق المتسخة التي تملأ الحوض .. كيف ستساعدني على اختفائها ؟ » .

قال كلارنس ببساطة « لقد انتهيت تواً من صنع جهاز الأختفاء .. وهو جهاز بسيط ، يعتمد في صنعه على علبة من علب البيرة الفارغة ، نفتح جانبها الآخر ، ثم نضع على الفتحتين في كل جانب قطعة من الورق المقوي الأحمر اللون ، وفي منتصف كل قطعة ثقباً دقيقاً ، عندما أنظر من الثقب إلى شيء ما ، وأطرف عيني ، فقط أغلقها وأفتحها بسرعة ، يختفي ذلك الشيء .. » .

« عظيم .. » ، قالتها الأم ، وهي منهمكة في غسل الأطباق دون أهتمام كبير بحديثه .

« لكني لا أعلم إذا ما كان بإمكاني استعادة ما يختفي .. لذلك يحسن أن أجرب الجهاز في شيء آخر ، فالأطباق إذا اختفت ستكلفنا كثيراً » .

كالعادة ، أخذت الأم تعمل يديها في الأطباق وهي تفكر بإعجاب في حكمة ابنها ورجاحة عقله .. ذلك الأبن الصغير الذي لم يتجاوز

التاسعة من عمره ، والذي يردد الكثير من الأفكار ، التي تعجز هي عن فهمها ومتابعتها . ثم قالت بعد فترة صمت « يمكنك أن تجرب جهازك هذا خارج البيت » ، ونظرت بطرف عينها من خلال نافذة المطبخ ، وقالت « عندك قطة جارتنا السيدة بلانش على الرصيف المقابل ، لا أعتقد أن أحداً سيهتم باختفاء القطة ، سوى بلانش ذاتها » .

« وهو كذلك » ، قالها كلارنس وهو يستدير متطلعاً إلى القطة ، رفع كلارنس جهاز الأختفاء إلى عينه مصوباً نظره إلى القطة ، وطرف عينه ، فاختفت القطة من فوق الرصيف ... ثم قال لامه ببساطة « لقد اختفت القطة يا أمي .. » .

تركت الأم الطبق الذي في يدها ، وتطلعت خلال النافذة ، فلم تجد القطة ، وقالت « فعلاً ، لقد تحركت من مكانها .. » .

فقال كلارنس محتداً « إنها لم تتحرك .. لقد جعلتها تختفي » .

قالت الأم وهي تعود إلى أطباقها « وكيف جعلتها تختفي ؟ .. » .

قال بلهجة تقريرية « ببساطة ، نأخذ علبة بيرة فارغة ، مفتوحة من الجانبين ، ونثبت على كل فتحة قطعة من ... » .

قالت أمه مقاطعة « طيب .. طيب .. خذ جهازك والعب به خارج البيت ، حتى لا تتسبب في اختفاء شيء من البيت ، فتستحق عقاب أبيك .. » .

خرج كلارنس دون أن يتكلم ، وسار حتى أدرك الحانة الكائنة في نهاية الشارع ، وقال للساقي الذي جلس مسترخياً أمام مدخل الحانة «هل عندك ما ترغب في اختفائه ، يا عم شارلي ؟ .. » .

أجاب الرجل ، وهو يربت على بطنه « كرشي فقط ! » .

قال كلارنس جاداً « إذا جعلته يختني ، فسيترك هذا ثقباً في جسمك ، وسيسيل دمك حتى تموت » .

« معقول .. كلامك معقول يا كلارنس .. لماذا لا نجرب اختفاء ماسورة الاطفاء القائمة بشكلها الكئيب ، على الرصيف المقابل ؟ .. » .

* * *

كان عصر ذلك اليوم من أمتع الأوقات بالنسبة لأطفال الحيّ .. تجمعوا من بيوتهم يخوضون في المياه التي ملأت الشارع ، وأخذت تفيض على الشوارع الأخرى .

أرتفع صوت عربات الاطفاء التي استدعيت لأول مرة في تاريخها لمقاومة فيضان المياه ، ووقفت عربات الشرطة والأسعاف غارقة في المـــاء إلى منتصفها .. وهبط منها رجال الشرطة ينقلون أقدامهم بصعوبة في نهر المياة المتدفقة .

وأخذت كلاريسا ويلبي ، أخت كلارنس ، تصيح على طريقة الباعة المتجولين ، وهي تقذف الماء عالياً بقدمها « الأنقاذ .. فرقة الأنقاذ .. هل يرغب أحدكم في خدماتي ؟ .. » .

« أصمتي .. » ، صاح فيها أحد الرجال بغضب .

وأختلى شارلي الساقي بكلارنس جانباً وهمس « لا أعتقد أنني في الوقت الحاضر على الأقل ، سأخبر أحداً بما حدث لماسورة الاطفاء .. » ، فقال كلارنس « وأنا لن أخبر أحداً ، طالما التزمت أنت بهذا » .

وأخذ ضابط الشرطة كومستوك يتحدث إلى بعض رجاله قائلاً « ليس

صاح الضابط وقد نفذ صبره ، بصوت متعب أكثر منه غاضب « سيريل ؟ .. » .

« أنت رجل غريب حقاً .. كيف لي أن أعرف ، وأنا لم أتجاوز بعد الثالثة من عمري .. لا أتصور أن تكون الأجابة على مثل هذه الأسئلة ضمن مسئولياتي » .

« كلارنس ؟ ! .. » ، قالها ضابط الشرطة هذه المرة بحزم ، فابتلع كلارنس ريقه دون أن يتكلم ، قال الضابط « هل تعرف أين اختفت ماسورة الاطفاء ؟ » .

« لا يا سيدي .. لا أعرف .. » ، قالها كلارنس صادقاً ، وقد تبدد توتره .

أقبل عمال مرفق المياه ، فقطعوا المياه عن المنطقة ، واستطاعوا أن يثبتوا سدادة محكمة مكان الماسورة المختفية ، وقال أحدهم لزميله « سيكون هذا بالتأكيد ، أغرب تقرير نرفعه الرؤساء » .

وابتعد الضابط كومستوك عن السيدة بلانش متهرباً وهو يقول « لا تضايقيني يا سيدتي .. إذا كنت لا أعرف كيف أبحث عن ماسورة الاطفاء المختفية ، هل يعقل أن أعرف مكان قطتك الضائعة ؟ » . صاحت كلاريسا التي كانت تتابع الحوار « عندي فكرة ، عندما تعثر على القطة ، فلا بد أنك ستجد ماسورة الاطفاء في نفس المكان ... هذه مجرد فكرة ... » .

* * *

حدث هذا بينما كان كلارنس يوجه جهازه إلى القبعة الصغيرة التي يضعها جارهم مورفي على رأسه .. اختفت القبعة ، بينما ظهرت قطرات

هنالك سوى سبعة تفسيرات لما حدث .. فلا شك ، واحد من أولاد ويلبي السبعة هو الذي فعلها .. كيف ؟ ... لا أدري ! . أن كسر مثل ذلـــك القائم الحديدي يحتاج إلى (بولدوزر) ، وحتى في هذه الحالة ، كان سيبقى منه بعض الأثر ، لا أن يختفي كلية كما حدث .. لا بد من مواجهة هؤلاء الشياطين الصغار» .

صاح الضابط في صوت كالرعد «كلاريسا .. » ، بينما كانت كلاريسا تواصل التغني بنداءاتها ... « الأنقاذ .. فرقة الأنقاذ .. هل يرغب أحدكم في خدماتي ؟ » . سألها الضابط كومستوك « هل تعرفين ما حدث للماسورة الاطفاء ؟ » . قالت كلاريسا التي لم تبلغ بعد الثامنة من عمرها « عندي بعض الشكوك غير المتميزة .. ليس .. ليس أكثر من هذا .. وعندما أصل إلى مزيد من المعرفة .. سأتقدم بنصائحي ! ! » .

صاح الضابط غاضباً «كليمانتين ، هارولد ، كورين ، جيمي ، سيريل » منادياً أبناء ويلبي الخمسة الأصغر من كلاريسا « هل يعرف أحدكم ما جرى للماسورة الاطفاء ؟ » .

قالت كليمانتين « أمس .. كان يعبر الشارع رجل غريب .. أراهن إنه هو الذي فعلها » .

وقال هارولد « أنا لا أذكر حتى وجود مثل تلك الماسورة في الشارع ، وأعتقد أنكم تثيرون ضجيجاً عالياً حول لا شيء .. » .

أما كورين فقد قالت « ستواجهون مشاكل معقدة ، فلا ريب أن مجلس المدينة قد سمع بما جرى » .

وقال جيمي مشاكساً « أعرف جيداً .. ولن أتكلم .. هه .. » .

دم قليلة تسيل من رأسه على جبينه . وصاح الساقي شارلي « لا أعتقد انه من اللائق اللعب بهذا الجهاز بعد ذلك » ، أجاب كلارنس محتداً « ومن الذي يلعب ؟ .. هذا أمر جدي .. » .

* * *

كانت هذه بداية أسبوع الرعب في الحي . اختفت اشجار من الحدائق ، وبدت مصابيح الأضاءة في الشوارع وكأنها لم تكن موجودة في يوم من الأيام . كان السيد والدورف يقود سيارته إلى بيته ، وما أن خرج منها وصفق بابها .. حتى اختفت . وعندما كان السيد جورج يسير في الطريق متجهاً إلى بيته ، اندفع إليه كلبه محيياً ، وقافزاً في الهواء ، مدّ جورج ذراعيه ليتلقى الكلب الصغير .. وفي الهواء اختفى الكلب ، وان بقي نباحه عالقاً بالآذان لبعض الوقت .

الاّ أن أسوأ هذه الأحداث ، كان اختفاء ماسورة الاطفاء . في اليوم التالي لاختفاء الماسورة الأولى ، قام العمال بتركيب ماسورة ثانية ، وبعد ثماني دقائق من تركيبها ، اختفت هي الأخرى ... وعادت المياه لتتدفق من جديد ، وتم تركيب ماسورة أخرى في نفس اليوم ، وخلال ثلاث دقائق من تركيبها ، اختفت ..

في صباح اليوم التالي ، جرى تركيب ماسورة جديدة للاطفاء ، وللمرة الثالثة ، بحضور مدير مرفق المياه ، ومهندس المدينة ، ورئيس الشرطة ، ومدير الجامعة ، والعمدة ، وبعض رجال المخابرات ، وجمع من العلماء يحف بهم جمهور من المواطنين ، هذا بالإضافة إلى مصور الجريدة السينمائية .

قال مهندس المدينة ، بعد أن أنتهى تركيب الماسورة الجديدة « دعنا نراها الآن وهي تختفي » ، وقال رئيس الشرطة « فعلاً .. دعنا نراها وهي تختفي » . وقال أحد العلماء « أحب أن أراها وهي تخ .. تخ .. لقد اختفت ! .. أليس كذلك ؟ ! » .

لقد اختفت ماسورة الاطفاء تحت سمعهم وبصرهم جميعاً ، بينما اندفعت المياه لتغرق ملابسهم ، قال المصور السينمائي « على الأقل لقد حصلت على لقطة الموسم » ، الا أن الكاميرا بحاملها اختفت من وسط الناس .

صاح مدير مرفق المياه في رجاله « أوقفوا تدفق المياه ، احكموا سدّ الثغرة ، ولا تنتظروا تركيب ماسورة جديدة فقد كانت هذه آخر واحدة في مخازننا .. » .

قال عمدة المدينة « هذا الموضوع يفوق كل تصور .. أني أعجب كيف لم يصل خبره إلى وكالة تاس السوفيتية حتى الآن ؟ » . « تاس عندها القصة كاملة » ، قالها رجل سمين بين الحشد « أنا مندوب وكالة تاس للأنباء » .

وصاح الساقي شارلي في لهجة ترحيب «أيها السادة ، إذا دخلتم الحانة ، وجربتم مشروبي الجديد (خرطوم الاطفاء) ، المصنوع من الويسكي والجنجرايل ، فستحل السعادة في قلوبكم ... وتصبحون أول من يتذوق الأبتكار الجديد .. » .

كان الإقبال يتصاعد على حانة شارلي ، فقد كان موقعها الممتاز في مواجهة ماسورة الاطفاء الشهيرة ، خير دعاية لها .

قالت كلاريسا لأبيها ، السيد توم ويلبي ، بعد عدة أيام « أعرف طريقة نصبح بها من الأغنياء ، يقول جميع الجيران أنهم سيبيعون منازلهم بأي ثمن ، ويرحلون عن الحي ، لماذا لا تدبر مبلغاً من المال ، وتشتري هذه المنازل ، ثم تبيعها بعد ذلك وتصبح غنياً ؟ » .

قال الأب « لن أشتري أي منها بدولار واحد . لقد اختفت ثلاثة منازل حتى الآن ، ونقل أغلب الجيران أثاث منازلهم إلى الأفنية الخلفية ، فيما عدانا .. ولن يعرف الحي غداً سوى المنازل الخاوية » .

« حسن .. اشتر إذا المنازل الخالية ، وسيمكنك بيعها بعد ذلك ، عندما تعود المنازل المختفية » .

ضحك الأب في عصبية وهو يقول « ومن أين لك ، أن المنازل ستعود إلى مكانها ثانية ؟ .. هل تعرفين شيئاً عن الموضوع ، يا آنستي الصغيرة ؟ ! » .

قالت كلاريسا بوقار « عندي بعض الشكوك التي لم تصل بعد إلى مرتبة اليقين الكامل .. وفي الوقت الحاضر ، لا يمكنني أن أفصح عن أكثر من هذا ! ! » .

* * *

تجمع ثلاثة من العلماء في الحانة ، وقد بدوا أشبه بالسكارى ، في ملابسهم الغريبة .. قال الدكتور فليكوف فونك « هذه الظاهرة تتجاوز علم ما وراء الطبيعة .. إنها تتعارض مع نظرية الكم الأستمراري ، وهي بهذا تقتضي على آراء العلاّمة بوف » .

فعقب العالم اراباد اركابران « في رأيي ، أن الحتمية الأحتمالية هي أكثر النظريات تعرضاً للتقويض ، تحت ضغط غموض الظاهرة وتلقائيتها .. » .

وضرب الدكتور ويلبي ماكجلي مائدة البار بقبضته وهو يقول متحسراً « نعم .. نعم .. من الذي كان يمكنه أن يفكر في أن تكون الوسيلة ، علبة بيرة فارغة وقطعتان من الورق المقوي ؟ .. وأنا الذي أضعت شبابي كله ، مركزاً محاولاتي على علب اللحم المحفوظ » . فعاد الدكتور فونك ليقول محرجاً « دكتور ويلبي .. بودي لو تكلمت بطريقة أبسط ، حتى أتمكن من متابعة حديثك .. » .

* * *

حتى الآن لم تتسبب حوادث الأختفاء في إصابة انسان ، فيما عدا قطرات الدم القليلة التي سالت من رأس مورفي ، ومن أذن كونشيتا عندما اختفى قرطها وهو معلق بطرف أذنها ، وطرف أصبع رجل كان يضغط جرس أحد المنازل ، اثناء اختفاء ذلك المنزل .. هذا بالإضافة إلى إصابة طرف الأصبع الكبير في قدم الصبي الذي كان يركل علبة فارغة في الطريق أثناء اختفائها .

لكن ما طرأ بعد ذلك ، كان أخطر .. فقد اختفى السيد بركل البقال من وسط بقالته ، أمام عدد من زبائنه .

وفي بيت السيد ويلبي ، تجمع عدد من المحققين الذين أتوا من مجلس المدينة ، وكان العمدة من بينهم أكثرهم استفزازاً .. والعمدة رجل لطيف ، لم يكن يبدي في الأحوال العادية أي تصرف يوحي بالأستفزاز ، ألاّ أن تتابع الرعب في المدينة إلى اليوم السابع ، هو السبب فيما طرأ على سلوكه من تبدل .

قال أحد المحققين وقد تجمعت أمامه أسرة السيد ويلبي كاملة « هناك

بعض الأشاعات الخبيثة ، التي تربط بين هذا البيت ، وما يحدث في الحي . هل لدى أي منكم تفسيراً لهذا ؟ .. » .

فقالت كلاريسا ببساطة « لا يعجبني أن يقترن لفظ خبيثة بما جرى .. باختصار شديد ودون أضاعة الوقت ، إذا كانت لديكم رغبة في الوصول أعماق الموضوع .. فباستطاعتي أن أشرح لكم كل شيء لو سألتموني السؤال المناسب » .

سأل أحد المحققين على الفور « هل أنت السبب في اختفاء هذه الأشياء ؟ » .

قلبت كلاريسا شفتيها وقالت « ليس هذا هو السؤال السليم » .

سأل محقق آخر « هل تعرفين أين ذهبت الأشياء المختفية ؟ » .

فهزت كلاريسا كتفيها في ضيق قائلة « وليس هذا أيضاً السؤال المطلوب » .

تدخل محقق ثالث « هل تستطيعين استعادة الأشياء المختفية ؟ » .

قالت « بالطبع أستطيع ... أي شخص يستطيع .. أليس كذلك ؟ » .

قال المحقق محاولاً ضبط أعصابه « أنا مثلاً لا أستطيع ، فإذا كان هذا بمقدورك ، كلنا أمل ورجاء في أن تفعلي هذا .. وحالاً .. » .

قالت كلاريسا بعد تفكير « طيب .. أريد بعض الأشياء اللازمة . أحضروا لي ساعة ذهبية ، ومطرقة ، ومن الصيدلية أحضروا لي هذه القائمة من المواد الكيميائية .. كما أريد متراً من المخمل الأسود ، وكذلك كيلو من الشيكولاتة » .

نظر أحد المحققين إلى العمدة مستفسراً « هل نحضر لها ذلك ؟ » .

صاح فيه العمدة مغتاظاً « طبعاً .. فهي الأمل الوحيد الباقي لنا .. أحضر لها كل ما تطلبه » .

وبين يدي كلاريسا ، تجمعت كل الأشياء التي طلبتها .

* * *

ألقى كلارنس نظرة حسد على ما تجمع بين يدي كلاريسا ، وصاح غاضباً « لماذا كل هذا الأهتمام بها ؟ .. أنا الذي جعلت كل تلك الأشياء تختفي .. فلماذا تتصورون أنها قادرة على استعادتها ؟ » .

« آه ! ! » ، صاحت كلاريسا بغيظ وكراهية « كنت أعرف منذ البداية .. أعرف أنه فعل ذلك كله .. لقد قرأ مذكراتي عن صنع جهاز الأختفاء خلسة . ولو كنت مكان أبي وأمي ، لضربته ضرباً مبرحاً ، لتجاوزه حدود الأدب ، بقراءة المذكرات الخاصة بأخته الأصغر . وهذه — أيها السادة — نتيجة وصول مثل تلك المعلومات إلى الأيدي غير المسئولة .. » .

تناولت كلاريسا ساعة العمدة الذهبية وهي تقول « علينا أن ننتظر بضع دقائق . فلا يجدي الأستعجال في مثل هذه الأمور » .

وبكل ما فيها من قوة ، هبطت ذراع كلاريسا بالمطرقة على الساعة الذهبية . ثم رفعت رأسها وقالت « هذا هو كل شيء .. لقد انتهت متاعبكم ، انظروا .. » ، وأشارت بيدها إلى نافذة الغرفة ، « ها هي قطة السيدة بلانش ، في نفس المكان الذي كانت فيه منذ سبعة أيام ، « وتحركت القطة » والآن هيا بنا إلى حانة شارلي ، لنتابع ظهور ماسورة

الاطفاء » .

بعد عدة دقائق من الترقب العصبي عند واجهة الحانة ، ظهرت فجأة على الرصيف المقابل ماسورة الاطفاء منتصبة في مكانها . وقالت كلاريسا « كل ما أختفى ، سيعود إلى مكانه بعد سبعة أيام بالضبط من لحظة اختفائه .. » .

وهكذا انتهت أيام الرعب ، وعادت الأشياء المختفية إلى الظهور .

سألها العمدة « ما الذي جعلك تجزمين بأن كل شيء سيعود بعد سبعة أيام ؟ » .

قالت « لأن الجهاز الذي صنعه كلارنس ، كان جهاز اختفاء لمدة سبعة أيام ، وأنا أعرف كيف أصنع أجهزة أختفاء متنوعة ، لمدة تسعة أيام ، وثلاثة عشرة يوماً ، وسبعة وعشرين يوماً .. واحدى وعشرين سنة .. » .

قال العمدة مبهوراً « أنت ؟ .. أنت قادرة حقاً على فعل كل ذلك ؟ » .

أجابت بلهجة جادة « نعم ، ولكني أرتعد ، كلما تصورت أن مثل هذه المعلومات قد تقع يوماً بين الأيدي غير المسئولة ! » .

وأمن العمدة على كلماتها قائلاً « وأنا أرتعد أيضاً » ، ثم استطرد متسائلاً « ولكن ، لأي غرض كان طلبك لكل هذه المواد الكيميائية التي كانت بالقائمة ؟ » .

« كانت لازمة لمعملي الكيميائي الخاص » .

« والمخمل الأسود ؟ .. » .

« لأصنع منه رداء لعروستي .. » .

« وكيلو الشيكولاتة ؟ » .

قالت كلاريسا في ضيق شديد « أنا لا أفهم ، كيف أصبحت عمدة لهذه المدينة ، ثم لا تعرف لماذا تطلب طفلة مثلي كيلو من الشيكولاتة ! ! » .

قال العمدة معتذراً « آسف .. آسف يا كلاريسا .. ولكن سؤال أخير .. لماذا كان أصرارك على تحطيم ساعتي الذهبية بالمطرقة ؟ » .

قالت كلاريسا دون ما اهتمام كبير « آه .. هذا ؟ .. كان لمجرد أعطاء مذاق درامي للعملية » .

العنصر الحيوي

يختار «واين كرودر» لنفسه لقب (الرجل القوي) ، والذين يعرفونه عن قرب يصفونه بما هو أكثر تواضعاً . قد يصفونه بصاحب الأعصاب الحديدية ، أو القلب المتحجر ، أو الأرادة الصلبة ، أو القرارات الباردة . واحقاقاً للحق لم يصفه أحد يوماً بالخداع أو اللؤم أو عدم الأمانة .

وأياً كان الوصف الذي ينطبق عليه فعلاً ، فهو رجل سعي إلى غايته الخاصة ، وأدركها .

في الأربعينات ، في عصر الثروات الضائعة ، أكثر من الثروات المقبلة ، أثبت كرودر قدرته وفطنته ، وأصبح ثرياً . في أيام التكاليف الباهظة للخامات والأيدي العاملة ، لا ينجح في التصدي للعقبات ، سوى الرجل الشجاع صاحب العزم الأكيد ... وهكذا كان واين كرودر .

لقد سجل لنفسه حق انتاج سلعة منزلية بسيطة يحتاجها كل بيت ، وباعها بربح بسيط لا يتجاوز القرش الواحد ، الأمر الذي أتاح له مواجهة كل منافسة كائنة أو قادمة . وبهذا ارتفعت ثروته يوماً بعد يوم ، حتى وصلت إلى الآف الملايين ، برغم ملاحقات الضرائب الملحّة . وابتنى لنفسه ناطحة سحاب سامقة ، أثث مكتبة في قمة برجها ، وعاش حياته بين السحاب مادياً وأدبياً ، وشغل عشرات الطوابق التي أسفل مكتبة ،

أعداد ضخمة من الفنيين والخبراء الذين يعملون لحسابه ، ويديرون لـه أعماله المنشرة الواسعة .

* * *

في يوم من الأيام فاجأهم جميعاً ...

عصر ذلك اليوم استدعى كرودر سكرتيرته ، وقال لها « اسرعـي باستدعاء كافة المهندسين الخبراء في المؤسسة .. أطلبي منهم أن يحضروا إلى مكتبي حالاً » .

أصطف المهندسون ، في شيء من الفوضى ، ونتيجة لضخامة عددهم ، حول المكتب الضخم الذي يجلس خلفه كرودر ... وبعد أن هدأت ضجتهم ، قال كرودر في كلمات هادئة ، ولكن واضحة جلية ، « أيها السادة ... أريدكم أن تبنوا لي سفينة فضاء .. » .

حدق فيه المهندسون للحظة .. ثم تبادلوا فيما بينهم النظرات ، تعكس عيونهم الشك فيما سمعته آذانهم .. وبعد لحظات تنحنح رئيسهم وقال « سفينة فضاء ! ؟ يا سيدي .. » .

قال كرودر بحزم « هذا هو قراري .. أريد أن أصبح الرجل الذي يمنح الجنس البشري فرصة غزو الفضاء » .

سرت همهمات بين الحشد المتكدس حول مكتبه ، وقطع أحد الخبراء هذه الهمهمات قائلاً « سيدي ، بإمكاننا أن نصمم لك مثل هذه السفينة . هذا الجانب من العمل ليس بالغ المشقة . فالرسوم الهندسية لمثل هـذا المشروع جرى تداولها بين العلماء منذ سنين ، وهي على الأغلب مبنية على أساس فكرة الغواصة ، ولكن .. » . صمت الخبير متحيراً ، فقال كرودر

بحسم « نعم ؟ .. » .

أعتدل الخبير في جلسته وهو يواصل حديثه « .. لكن المحركات القادرة على تشغيل مثل هذه السفينة ، لا أعتقد أن بإمكاننا توفيرها . لقــد سعي العلمـاء في جميع أنحـاء العالم إلى حل ذلك اللغز على مدّى عّدة أجيال ، دون الوصول إلى أجابة شافية .. بمعنى آخر سيكون في أمكاننا أن نبني السفينة على أكمل وجه ، لكننا سنعجز عن رفعها من فوق سطح الأرض .. » .

ساد الصمت ، ترقباً لقول كرودر ، ألاّ أن هذا سرعان ما قال بشكل قاطع « صمموا السفينة ، وسأجد أنا من يحركها .. » .

استجمع رئيس المهندسين أطراف شجاعته ليقول « من أين ؟ » .

قال كرودر « سؤال وجيه .. وجوابي عليه : لا أعرف .. لكن .. في جهة ما من هذا العالم ، سأجد الرجل الذي يعرف السر .. وسيكشف لي هذا السر ، إذا ما وفرت له المال اللازم لتحقيق نظريته » .

عقب رئيس المهندسين « لكنك بهذا ، تعرض نفسك لهجوم جيش من المحتالين والمخبولين » .

« أعرف هذا .. وعليكم أنتم أن تساعدوني على التقاط الأبرة من أكوام القش .. وكل من يعرض فكرة جادة مؤملة ، مهما بدت خيالية ، سنعطي له فرصة تحقيقها ، لنرى مدى نفعها » .

« هل يعني ذلك أنك ستمول تجار بهم ؟ .. أن هذا يكلفك ثروة طائلة » .

« وأنا عندي هذه الثروة الطائلة » ، قالها كرودر بحزم « .. والآن هيا إلى العمل .. شيدوا لي السفينة ، وسأجعلها تتحرك ، وتطير .. » .

استدعى كرودر رجال الصحافة ، وجاءت تحقيقاتهم في أعقاب ذلك اللقاء مثيرة مسلية . سعدت الصحف بنشر العرض الذي طرحه كرودر ، مائة ألف دولار نقداً ، لمن يقدم فكرة تنجح في رفع السفينة من فوق الأرض . انطلق الخبر إلى جميع أنحاء العالم ، وظهر في الصحف بعشرات اللغات .

تحققت نبوءة المهندسين ، فأصبح مبنى مؤسسة كرودر ، كعبة للمجانين ، والمحتالين ، والمغامرين ، وكادت الرسوم الهندسية الزرقاء ، والنماذج المصغرة للمشروعات أن تسد طرقات المؤسسة . أما خطاباتهم التي استنفدت نسبة عالية من الأحبار التي يستخدمها سكان الكرة الأرضية ، فقد شغلت وقت كل طاقم الموظفين الضخم بالمؤسسة ، في قراءتها وتصنيفها وتلخيص محتواها .

الا أن كرودر لم تعرض عليه سوى الخطابات القليلة التي اخترقت حواجز الفحص والدراسة والتمحيص . وأغلب هذا القليل كان يجد طريقه إلى سلة المهملات ، وأقلة كان يحال إلى التنفيذ . وكانت أموال كرودر تتدفق لانشاء المختبرات والمعامل الجديدة التي تحتاجها هذه التجارب . وأصبحت معامله ومختبراته ، أكبر مركز لأبحاث الفضاء في العالم .

* * *

تتابعت الأسابيع ، وخرجت الرسوم الهندسية الزرقاء من مكاتب المهندسين إلى التطبيق .... الا أن كل ما تجمع عن مبتكرات ومخترعات حتى ذلك الوقت ، فشل في رفع ذلك الوحش المعدني عن سطح الأرض .. جرّب المهندسون كل شيء .. الدفع الآلي ، البخار ، المفرقعات ، البترول ،

الذرة .. وكافة أنواع الوقود التي تخطر ولا تخطر على البال .

كان بعض التجارب مضحكاً .. وكان البعض الآخر مأساوياً .. لكنها كانت جميعاً فاشلة . وبرغم كل ما حدث لم يستسلم كرودر لليأس ، « سيأتي .. » ، هكذا كان يقول « المال والعزيمة يشتريان أي شيء .. وسيأتي اليوم الذي يظهر فيه بيننا ، ذلك الذي سيحقق الحلم .. » .

وكان محقاً ... ففي أحد الأيام ، وصل إلى مكتبه رجل أجنبي ضئيل الجسم .. وقد بدا جسمه أكثر ضآلة وسط مكتب كرودر الفسيح . كان أغرب ما فيه ، أنه لم يكن يحمل في يده تلك الحقيبة المنتفخة بالرسوم الهندسية والملفات الزاخرة بالأرقام والحسابات .. كان بسيطاً في شكله وحركاته .. لم تظهر عليه علامات الغطرسة .. ولا الاذعان ، ولا حتى مجرد التهيب. كان مجرد أجنبي مريح ، ضئيل الجسم ، يشبه الطائر في حركاته ونظراته .

قال « أسمي ولكنز ... واستطيع أن أقدم لك السفينة التي تطلبها » .

بعد فترة صمت ، قال كرودر « وبعد .. » .

« لن تكون كهذه الرصاصة العملاقة التي لا معنى لها ، والتي شيدها طاقم الخبراء المهندسين التابع لمؤسستك .. هذا الصاروخ مضيعة للوقت والمال ، فالمحرك الذي أقدمه يحتاج إلى مركبة من شكل آخر» . سأل كرودر « وأين رسومك ؟ » .

« هنا .. » قالها ولكنز وهو يشير باصبعه إلى رأسه .

فقال كرودر بفتور « لقد تحمست للكثيرين الذين أتوا بنفس كلماتك .. ولم نصل بعد إلى شيء .. ما الذي يجعلك تعتقد أن فكرتك

سيصادفها النجاح » .

قال الرجل باقتضاب « الطبق الطائر » .

« ماذا ؟ ! .. » .

« لقد كشفت سر الأطباق الطائرة . وفكرتي مبنية على المبدأ الذي تطير بموجبه ، الكهرباء المغناطيسية ، باستخدام الجاذبية ، أو إن شئت الدقة ، الجاذبية المضادة .. » .

« شكراً جزيلاً » ، قالها كرودر وهو يتململ في مقعده ايذانا بانتهاء المقابلة ، « والآن .. إذا سمحت لي ... » . قال الرجل مقاطعاً « انتظر .. هناك شيء آخر .. هذا .. » .

وأخرج من جيبه جسماً معدنياً في حجم وشكل مطفأة السجائر . رفعه في الهواء فوق مكتب كرودر ، ثم أبعد يده ، فبقي الجسم معلقاً في مكانه وسط فراغ الحجرة . مدّ كرودر يده بحرص ، لامساً ذلك الجسم ، فأحس برعشة خفيفة في أطراف أصابعه ، لكن الجسم بقي في مكانه . عاد كرودر ببطء إلى مقعده ، متأملاً الجسم المعلق في الفضاء ، وقال « هذا يكفي ... ماذا تريد ؟ » .

قال ولكنز « في مقابل جهدي ، أعتقد أن المبلغ الذي سبق لك أن حددته ، يعتبر عادلاً .. لكن هناك ثلاثة مطالب . الورشة التي سأبني فيها الطبق الطائر بحجمه الطبيعي . طاقم المساعدين من المهندسين الخبراء .. ثم الاجابة على سؤال ... » .

رفع كرودر حاجبيه قائلاً « سؤال ؟ .. » .

قال ولكنز « اجابة عن هذا السؤال : لماذا تلح في بناء هذه السفينة ؟ » .

أجاب كرودر بصراحة « لأني أحب القوة .. لأني طموح .. لأني بهذا سأصبح أول من يغزو الفضاء ، وهذا بدوره سيجعلني أكبر ، وأغنى ، وأقوى من أي رجل آخر ... سأصبح السيد ، ليس فقط على عالم واحد ... بل على العوالم كلها .. » .

قال ولكنز « هذه اجابة أمينة ... وان بدت غريبة .. » .

سأل كرودر « ماذا بقي بعد هذا ؟ .. » .

قال الرجل صاحب الجسم الضئيل بعد تفكير « بقي بعد هذا ، دافعي أنا .. أريد أن أغادر هذه الأرض إلى مكان آخر .. المريخ مثلاً .. فما زالت هناك أنماطاً غريبة من الجمال لم أتذوقها بعد . هناك سيمكنني أن أستمتع بمشاهدة الغروب القرمزي للشمس فوق الصحاري القاحلة .. وتحت بريق النجوم المتناثرة ليلاً ، سيتاح لي أن أستمتع بالهواء الرقيق البارد فوق الأرض المصبوغة الملونة ، يتحرك في آهات متواصلة فوق القنوات الجافة .. روحي متشوقة إلى عالم آخر ، لم تطرقه من قبل قدم آدمي .. » .

قال كرودر بجفاف « أنت رجل عاطفي ، وأنا رجل منطقي .. هذا لا يهم . فما زال بإمكاننا أن نتعاون معاً .... ستكون مطالبك جاهزة في صباح الغد » .

* * *

بعد أربعة أشهر ، وفي ضوء الغروب القاتم لشهر أكتوبر ، جلس الرجلان معاً للمرة الثانية . لم يلتقيا هذه المرة في المكتب الفسيح أعلى ناطحة السحاب ، بل انحشرا في مركز القيادة بالطبق الطائر الصغير ، الذي انتهى طاقم المهندسين من بنائه ، وفق رسوم وارشادات ولكنز . وخارج

الطبق احتشد جمهور كبير ليشهد الطيران التجريبي الأول للطبق . كانوا يتدافعون ويتهامسون ، يتطلعون بصبر فارغ ، بينما كان ولكنز داخل حجرة القيادة الضيقة ، يثبت الأجهزة الاضافية السرية التي لم يكشف عنها للذين عاونوه في بناء الطبق الطائر .. أخذ الرجل الضئيل الجسم ، يثبت سلكاً هنا ، ويضبط جهازاً هناك بمزيد من الدقة ، ثم يضيف قطعة جديدة إلى جهاز ثالث ، بينما تعالى ضجيج الحشد في الخارج .

قال كرودر بقلق « ولكنز .. ما الذي يعطلنا الآن ؟ .. » .

« الآن .. لا شيء ، هكذا أجاب ولكنز ، تاركاً الأدوات التي في يده ، متحركاً إلى حافة الطائرة الغريبة الشكل ، مزيحاً ستاراً معدنياً ، بحيث يتمكن من رؤية أرض التجربة من مكانه داخل الطبق ، قائلاً .. « ربما .. بعض العواطف .. الرغبة في القاء نظرة أخيرة على الأرض بمناظرها المألوفة ! » .

« أنت أحمق جياش العواطف » قالها كرودر بعصبية وحنق « أو أنك خائف ، فربما تكون قد اكتشفت أخيراً ، أن اختراعك لن ينجح » .

أجاب ولكنز بحسم « بل سينجح .. » .

« إذاً .. أدر محركك .. دعني أسمع دويه ، وأشعر بهزة مغادرتنا للأرض ، ونحن نتغلب على جاذبيتها .. ونسبح في طريقنا إلى الفضاء الواسع .. » .

أغلق الرجل الضئيل الجسم باب المركبة ، وتوجه إلى لوحة القيادة ، وبحركات حالمة ، لمس ذراعاً هنا ، وضغط زراً هناك ، ثم أخذت أصابعه تتحرك في شاعرية فوق أجهزة القيادة المختلفة .

قال كرودر مشاكساً « لقد بدأت أفقد ثقتي فيك ، يا ولكنز .. هـل كان كل ذلك خدعة ؟ .. متى يمكننا أن نحلق ؟ .. لقد وعدتني بالتحرك في تمام الساعة الخامسة ، والآن .. » ، ونظر إلى ساعته « والساعة الآن .. الخامسة ودقيقتان ... متى سنتحرك إذاً ؟ ... » .

قال ولكنز بهدوء « اننا قد تحركنا فعلاً .. » ، ورفع الستار المعدني المسدل على فتحة الباب .. وتطلع كرودر إلى الفضاء الأرجواني المعتم ، وقد انتشرت على صفحته النجوم .. ومن خلفه بدت الأرض متباعدة .. ككرة قدم .. ثم كبرتقالة .. ثم كحشرة صغيرة مضيئة .

« يالله .. » ، صاح كرودر ناهضاً « لقد فعلتها .. فعلتها يا ولكنز» ، واكتفى ولكنز بالابتسام .

تفجر ابتهاج متدفق في صدر كرودر . لقد عرف الرجل الجامد معنى العواطف أخيراً . فصاح في انتصار « إذاً .. لقد كنت على حق ! .. لا يوجد ما يستعصي على المال والعزيمة . لقد أقسمت أن أكون أول من يغزو الفضاء .. ونجحت في هذا .. انه انتصار القوة والطموح .. » .

« والعواطف ... » ، أضاف ولكنز .

« ماذا ؟ .. لولاي لماتت أحلامك قبل ولادتها ، أنا الذي جعل هـذه الأحلام ممكنة .. ولكنز .. لا تنسى هذا أبداً . مالي وقوتي وعزيمتي .. » ، وأخذ كرودر يحدق في الفضاء ، ناظراً إلى الأرض التي أصبحت نقطة ضئيلة مضيئة في الهواء ، « انها ليست سوى البداية .. سنبني نموذجاً أضخم من هـذا ... يتسع لمـائة رجل . سأشن الغزو الأول للفضاء ، وسأقيـم أمبراطورية جديدة .. في .. في المريخ » ، تنهد كرودر من فرط الانفعال ،

والتفت إلى ولكنز ، وهو يقول « والآن .. فلنعد إلى قاعدتنا يا ولكنز» .

« لا ... » ، قالها ولكنز بهدوء « لا أظن هذا ممكناً » .

«كيف ؟ ... لقد اثبتنا الآن أن السفينة قادرة على شق الفضاء .. فلنعد الآن للأرض ، حتى نبدأ في إعداد الأطباق الطائرة الأكثر ضخامة » .

« لا أظن ذلك » ، قالها الرجل الضئيل الجسم « إننا سنمضي قدماً في طريقنا » .

« ما هذا ؟ » ، صاح كرودر « هل تتحداني ؟ .. هل أنت مجنون ؟ .. » .

« لا .. ولكنني عاطفي .. » ، قالها ولكنز بهدوء ، وهو يخلع معطفه ، ثم رباط العنق والقميص .. ثم أخذ يخرج من سرواله بعد أن خلع حذاءه .. تحت هذه الملابس ظهر زي آخر .. كساء غريب أشد الغرابة ، لا يشبه أي شيء رآه كرودر من قبل . رداء لامع محكم ، له بريق ذهبي ، يكشف عن المظهر غير الآدمي للبدن الدقيق . ابتسم لكرودر ، وكانت ابتسامته ودودة ، لكنها لم تكن بأي حال ابتسامة آدمي ولد على أرضنا ...

وقال الرجل القادم من المريخ « لقد سهل مالك وطموحك طريقي ، لكن العواطف كانت هي العنصر الحيوي .. الذي أرسلني إليك » .

ثم ابتسم قائلاً في بساطة « ألا ترى ؟ .. لقد كنت أسعى طوال الوقت إلى العودة لبيتي ! ! » .

روائع قصص الخيال العلمي

تضم هذه السلسلة :

مغامرة على كوكب الزهرة
محنة النجم الأسود
سفينة الفضاء الملعونة

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



مغامرة على كوكب الزهرة

اطبقت الثلاجات الهائلة على الكرة الارضية ، من الشمال والجنوب ، فاختفت الحياة من فوق سطح الارض . وبعد اكثر من خمسة الاف سنة ، التقطت سفينة الفضاء القادمة من كوكب الزهرة . بعض اثار الحضارة المنقرضة ، وعادت بها الى علماء كوكب الزهرة ، الذين انشغلوا بدراستها ، يحاولون الوصول الى تصور للبشر الذين عاشوا يوما على الارض . وقد تركز جهدهم على علبة اسطوانية بها شريط غريب . . فهل وصلوا الى ما يبحثون عنه ؟

هذا هو ما تحكيه قصة « مغامرة على كوكب الزهرة » ، واحدة من ثماني قصص مثيرة وممتعة ، من أهم انتاج قصص الخيال العلمى ، والتى يضمها هذا الكتاب .